ملخص البحث :

يتناول البحث قضية السرقات الشعرية عند ابن رشيق في كتابه " العمدة " حيث يؤصل البحث لمصطلحات السرقة الشعرية عنده ، وبخاصة ان هذه القضية لقيت رواجا كبيرا في النقد العربي في القرنين الثالث والرابع الهجريين وما بعدهما، وقد سعى البحث الى إبراز أثر هذه القضية النقدية بميادينها المتداخلة والمتشعبة على نقاد تلك المرحلة، كقضية اللفظ والمعنى، وقضية القديم والمحدث وقضية الطبع والصنعة وغيرها، مبرزا دور ابن رشيق في التأثر والتأثير بالسابقين واللاحقين من نقاد عصره.

ويقف البحث عند أقسام السرقة وتقسيماتها و تداخل بعضها في الدلالة والمساحة النقدية التي يشغلها كل واحد منها ، ويرهص هذا البحث ايضا الى قضية (المثاقفة) و (التناص) وغيرهما من القضايا التي انشغل بها النقد الحديث في دراساته للنص الادبي و بخاصة النص الشعري.

وقد تناول البحث في المبحث الثاني (مصطلحات السرقة في كتاب العمدة) مع الإشارة إلى ما جاء فيها متفقا مع كتاب الحاتمي في التعريف والتمثيل، وقد جاء ذلك في ثلاثة محاور هي :

ا . المصطلحات التي لم يظهر فيها جهد ابن رشيق، حيث توقف جهده فيها عند نقلها ممن سبقه دون أن يتصرف فيما نقل، سواء يالتدخل المباشر، أو إضافة أمثلة أو تعريف أو نحو ذلك، وهي مصطلحات (الاهتدام، الاختلاس، الموازنة، العكس، الالتقاط والتلفيق)

ب . المصطلحات التي نقلها ابن رشيق ممن سبقه لكنه لم يكتفِ بنقلها فقط، وإنما ناقش ما نقل، وقبِل وراجع وعدل وأضاف، صادراً في كل ذلك عن ذوق بياني جيد، وبصر بأدوات النقد، وهي مصطلحات : (النظر والملاحظة، الاصطراف، الانتحال، الإغارة، الغصب، الموارِدة، المرافدة، الاشتراك في اللفظ المتعارف) .

ج . المصطلحات التي نقلها ابن رشيق ممن سبقه وأخفق في معالجتها، سواء من خلال سوء النقل أو إهمال التوضيح والبيان، وهي مصطلحات (نظم النثر، المجدود، كشف المعنى، سوء الاتباع، الاجتلاب)

الكلمات المفتاحية : السرقات الشعرية . كتاب العمدة . ابن رشيق القيروان

Abstract

The research explores the issue of poetic plagiarism in the view of Ibn Rashiq in his book *Al-Umda* and it authenticates the terminology of poetic plagiarism according to him, especially that this issue was widely circulated and discussed in Arabic criticism in the third and fourth centuries AH and beyond. The research seeks to examine the extent to which the critics of that stage were influenced by this critical issue with its divergent and intricate aspects and relevant issues, such as the issue of utterance form and meaning, the issue of the ancient and the modern, the issue of nature and nurture, and others. It also highlights the interactive role of Ibn Rashiq as a scholar who influenced and was influenced by the earlier and later critics of his time.

The research delves into the types and divisions of plagiarism, some of which overlap in their respective significance and critical space. This research also lays the foundation of the issue of 'acculturation', 'intertextuality' and other issues that modern criticism has been preoccupied with in its study of literary texts, especially the poetic text.

In the second section, the research examines the plagiarism terminology in *Al-Umda* book with reference to terms stated therein which agree with Al-Hatami's book on definition and representation. These terms are in three axes:

A - Terms in which Ibn Rashiq exerted no effort, as his endeavours were limited to transferring these terms from his predecessors without taking any action as regards these transmitted terms. He did not deal with these terms whether through addressing them directly or adding examples, definitions, or the like. These terms are (decay, embezzlement, parallelism, reversal, selectiveness and fabrication).

B - Terms that Ibn Rashiq transmitted from his predecessors and he was not satisfied with just transferring them; rather, he discussed, accepted, revised, modified, and added to these transferred terms. His endeavours revealed that scholarly actions had stemmed from an excellent rhetorical taste, and insight into the tools of criticism. These terms are (consideration and observation, false self-proclamation, plagiarism, raiding, usurpation, telepathy-based verse, consent-based plagiarism, participation in the common utterance).

C - Terms that Ibn Rashiq transmitted from his predecessors but he failed to elucidate them, whether due to poor transmission or neglect of clarification and interpretation. These terms are (prose construction, renewed, revealing meaning, poor attribution, false acquisition).

Keywords: Poetic plagiarism, Book of *Al-Umdah*, Ibn Rashiq Al-Qayrawani

مُقدّمة

الحمد لله حق حمده، والصلاة والسلام على خير خلقه، سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه، وسار على نهجه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد

فلا شك أن مشكلة السرقات الشعرية كانت محورا من المحاور النقدية التي تواترت عليها اجتهادات النقاد في أدبنا العربي، سواء منها ما جاء متناثرا في ثنايا الكتب، أو ما احتل مؤلفا برأسه، أو ما كان وسطا بين هاتين الطريقتين .

ولا شك أن عقلية ابن رشيق القيرواني [1]كانت من العقليات الجيدة التي استطاعت جمع هذه الصور الثلاث في مؤلفاتها النقدية ؛ إذ لم تكن مشكلة السرقات مجرد مبحث يشتمل عليه كتابه (العمدة)، بقدر ما كانت هاجسا ملأ على ابن رشيق نفسه، فتنفس عنها في مواطن عدة من كتابه، ثم ما لبث أن أفرد لها مؤلفا برأسه، عالج فيه كثيرا مما أصاب تطبيقاته في كتاب العمدة من متابعة واحتذاء .

وتنبع أهمية البحث عن السرقات في كتاب العمدة من كون ابن رشيق يعد حلقة وصل بين الرواد الذين تحدثوا في السرقات كالجرجاني والحاتمي وابن طباطبا والعسكري وغيرهم، وبين من أتوا بعده

---

[1] الحسن بن رشيق القيرواني، أبو علي: أديب، نقاد، باحث. (٣٩٠ – ٤٦٣ هـ = ١٠٠٠ – ١٠٧١ م) كان أبوه من موالي الأزد. ولد في المسيلة (بالمغرب) وتعلم الصياغة، ثم مال إلى الأدب وقال الشعر، فرحل إلى القيرواون سنة ٤٠٦ ومدح ملكها، واشتهر فيها. وحدثت فتنة فانتقل إلى جزيرة صقلّيّة، وأقام بمازر (Mazzara إحدى مدنها، إلى أن توفي. من كتبه (العمدة في صناعة الشعر ونقده – ط) و (قراضة الذهب – ط) في النقد، و (الشذوذ في اللغة) و (أنموذج الزمان في شعراء القيروان) و (ديوان شعره – ط) و (ميزان العمل في تاريخ الدول) و (شرح موطأ مالك) و (الروضة الموشية في شعراء المهدية) و (تاريخ القيروان) و (المساوي) في السرقات الشعرية. وجمع الدكتور عبد الرحمن ياغي، ما ظفر به من شعره في (ديوان – ط) ببيروت . وقد جمع الأستاذ الميمني شعره في كتاب سماه " النتف من شعر ابن رشيق وابن شرف " ثم قام الدكتور عبد الرحمن ياغي بجمعه وزاد فيه (دار الثقافة – بيروت: ١٩٦٢) . الأعلام ـ خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت ١٣٩٦هـ) دار العلم للملايين . الخامسة عشرة – أيار / مايو ٢٠٠٢ – ٢/ ١٩١، وينظر :وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان . أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (ت ٦٨١هـ) . تحقيق د / إحسان عباس . دار صادر – بيروت١٩٩٤م، ٢ / ٨٥، ٨٦، والوافي بالوفيات . صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت ٧٦٤هـ) . تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى . دار إحياء التراث – بيروت١٤٢٠هـ– ٢٠٠٠م ١٢ / ٩)

ممن أحالوا الموضوع دراسيا بحتا كابن الأثير والمظفر بن الفضل صاحب (نضرة الإغريض) وغيرهما، ففي العمدة إعادة جيدة لصياغة القضية النقدية، وهي إعادة أقرب إلى الطريقة المدرسية في التعريف والتنظيم وحسن العرض، وهو ما لم يتوفر في معظم كتب السابقين عليه .

كما تنبع أهميتها من كون ابن رشيق شاعرا مهموما بقضية السرقات بحكم أنه اتهم بممارستها، مما تمخض عنه تأليف كتابه (قراضة الذهب)، ومن ثم فدراسة السرقات في الكتاب تعد وقفة نقدية من شاعر يعاني ألم التجربة، ويحيط بمفردات الصنعة الشعرية، ويدرك مدى حساسية القضية وصعوبتها في آن ..

كما تنبع أهميتها من كون الدراسات التي تناولت جهود ابن رشيق كانت تقف عند ما نقله من مقولات، ثم تشير إلى تبعيته للحاتمي في سرد أنواع السرقة، دون تحديد لجهد ابن رشيق في أي مصطلح من المصطلحات التي اشتمل عليها كتابه .

ومن ثم تعد دراسة السرقات في كتاب العمدة بصفة خاصة تقويما لنتاج ابن رشيق النقدي في هذه القضية، في محاولة للوقوف على أصالة جهده أو تبعيته فيها .

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يخرج في تمهيد ومبحثين : أما التمهيد وعنوانه (مشكلة السرقات الأدبية) فكان بمثابة إلقاء الضوء على قضية السرقات من حيث التاريخ والفن، ومحاولة فهمها في ضوء النقد الحديث، مع ربطها بالمستجدات العصرية التي تتشابه معها في الأصول .

وأما المبحث الأول وعنوانه (ابن رشيق والسرقات الشعرية) فيلقي الضوء على أهمية كتاب العمدة، وما حققه ابن رشيق فيه من جهود في قضية السرقات الأدبية، وقد تمثل ذلك في الحديث عن أهمية دراسة السرقات، ومفهومها، وطرائق أخذ المعنى، والتنازع في المعاني، والمواطن التي حكم فيها بالسرقة أو الأخذ في غير باب السرقات، وربط السرقات بقضايا النقد الأخرى كالاشتراك والتغاير، والتضمين والإجازة، والاختراع والتوليد، وصنعة الشعر، وكذلك نقد ابن رشيق لكثير من النقاد الذين نقل عنهم في باب السرقات كالحاتمي وابن وكيع ومحمد بن سلام الجمحي .

وأما المبحث الثاني وعنوانه (مصطلحات السرقة في كتاب العمدة) فيقف مع المصطلحات التي وظفت في كتاب العمدة لمعالجة قضية السرقات، مع مقارنتها بما جاء في كتب النقد، مع الإشارة إلى ما جاء فيها متفقا مع كتاب الحاتمي في التعريف والتمثيل، وقد رأيت تقسيم جهد ابن رشيق في هذا المبحث إلى ثلاثة محاور هي :

ا . المصطلحات التي لم يظهر فيها جهد ابن رشيق، حيث توقف جهده فيها عند نقلها ممن سبقه دون أن يتصرف فيما نقل، سواء بالتدخل المباشر، أو إضافة أمثلة أو تعريف أو نحو ذلك، وهي مصطلحات (الاهتدام، الاختلاس، الموازنة، العكس، الالتقاط والتلفيق)

ب . المصطلحات التي نقلها ابن رشيق ممن سبقه لكنه لم يكتفِ بنقلها فقط، وإنما ناقش ما نقل، وقبِل وراجع وعدل وأضاف، صادراً في كل ذلك عن ذوق بياني جيد، وبصر بأدوات النقد، وهي مصطلحات : (النظر والملاحظة، الاصطراف، الانتحال، الإغارة، الغصب، الموارِدة، المرافدة، الاشتراك في اللفظ المتعارف) .

ج . المصطلحات التي نقلها ابن رشيق ممن سبقه وأخفق في معالجتها، سواء من خلال سوء النقل أو إهمال التوضيح والبيان، وهي مصطلحات (نظم النثر، المجدود، كشف المعنى، سوء الاتباع، الاجتلاب)

وبعد فحسبنا أن يكون البحث نواة للتأصيل لرؤية عربية نقدية، تنطلق من تراثنا العربي، معرفة بجهود أعلامه، لتمد القاريء العربي بما يحفظ له هويته، ويحفظ للعقلية العربية أصالتها وجودتها في آن .

وما توفيقنا إلا بالله، عليه توكلنا وإليه ننيب

أ.د/ عبد الحميد محمد عبد الحميد بدران د. بديع أحمد حسن العزام

تمهيد

مشكلة السرقات الأدبية

لم تكن قضية السرقات وليدة العصر العباسيّ ، وإن كان شعر أبي تمام هو الذي لفت أنظار النقاد إليها، وإنما هي قديمة قدم الشعر ذاته، فقد فطن كثير من الشعراء في العصر الجاهلي إلى تكرار بعض المعاني والألفاظ في شعر الشعراء، ومن ثم وجدنا كعب بن زُهير يجهر بذلك قائلا : [1]

مـــا أرانـــا نقـــولُ إلا مُعَـــاداً أو مُعَـــاراً مـــن لفظنـــا مكـــرورا

وإذا كانت السرقة الشعرية تعني " ذلك الاقتباس الخفي أو الظاهر للفظة أو جملة من الألفاظ في سياق ما، وإعادة صياغتها في بيت واحد من الشعر " [2] فقد فطن كثير من شعراء الجاهلية إلى ملامح السرقات في أشعارهم، مركزين على جانب الإغارة والانتحال، ومن ذلك قول طرفة بن العبد مفتخرا : [3]

وَلا أُغيـرُ عَلـى الأَشـعارِ أَسـرِقُها عَنهـا غَنيـتُ وَشَـرُّ النـاسِ مَـن سَـرقا

وَإِنَّ أَحسَـنَ بَيـتٍ أَنـتَ قائِلُـهُ بَيـتٌ يُقـالُ إِذا أَنشَـدتَه صَـدَقا

وقول الأعشى :

فكيـف أنـا وانتحـاليَ القـوافيَ م بعـد المشـيبِ كفـى ذاك عـارا

ولقد لفتت قضية السرقات أنظار النقاد في عهود متقدمة، فأدلى كثير منهم بدلوه فيها، ولعل من أهم الأعلام الذين ناقشوا هذه القضية وأسهموا في إرساء قواعدها سواء في مراحلها الأولى أم في مراحل نضجها : محمد بن سلام الجمحي (ت.٢٣٢هـ)، وابن طباطبا (محمد بن أحمد ت.٣٢٢هـ) في باب المعاني المشتركة، والآمدي (الحسن بن بشر ت. ٣٧٠هـ)، والحاتمي (محمد بن الحسن ت. ٣٨٨هـ) في باب السرقات والمحاذاة، والقاضي عبد العزيز الجرجاني (ت.٣٩٢هـ)، وأبو هلال العسكري (٣٩٥ هـ) في باب

---

[1] ديوان كعب بن زهير صنعة أبي سعيد السكري . شرح د.مفيد قميحة . دار الشواف للطباعة والنشر . الأولى ١٩٨٩م صـ ٦٦

[2] فكرة السرقات الأدبية ونظرية التناص . د عبد الملك مرتاض مجلة علامات في النقد الأدبي . النادي الأدبي الثقافي بجدة المجلد الأول . ١ / ٨٦ مايو ١٩٩١م

[3] ديوان طرفة تحقيق درية الخطيب ولطفي الصقال صـ ١٧٤ .

(حسن الأخذ)، والحسن بن رشيق القيرواني (ت. ٤٥٦هـ) في باب السرقات وما شاكلها، وابن الأثير (ت. ٦٣٧هـ) في باب السرقات الشعرية، وحازم القرطاجني (ت. ٦٨٤هـ) .

ويلوح التعبير بالسرقة تعبيرا تاليا لمصطلحات أخرى كالأخذ والسلخ، لأن ميلاد مصطلح (السرقة) كان مرتبطا بفكرة التجريح التي سادت إبان ظهور مذهب أبي تمام، " وأكبر دليل على أن دراسة السرقات دراسة منهجية قد نشأت عن تلك الخصومة . هو استعمال ذلك اللفظ (سرقات) إذ استعمل النقاد المجردون عن الهوى ألفاظا أخرى كمصطلح الأخذ التي نجدها عند ابن قتيبة في غير موضع من الشعر والشعراء، والسلخ التي استعملها أبو الفرج في الأغاني، وأما لفظة (سرقات) فقد ذاعت وسط الخصومة حول أبي تمام بين أنصار القديم وأنصار الحديث " [١]

والحق أننا لا نستطيع . مهما حاولنا . أن ننكر على الشاعر تأثره بنص شعري سابق عليه، لأن هذه النصوص الرائدة هي التي أسهمت . وما زالت تسهم . في تشكيل وجدان الشعراء، وموقفهم منها . إيجابا وسلبا ـ هو الذي يساعد في دفع مسيرة العملية الشعرية على مر العصور، والشاعر مطالب بحفظ كثير من الأشعار، حتى يستقر في ذهنه ما راق من الأساليب الجيدة، لأن الشعر . باعتراف الجاحظ . " صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير " [٢]، ومن شأن الصناعة والنسج أن توضع لهما شروط ضابطة، جعل منها ابن خلدون الحفظ من جنس شعر العرب وتعمد نسيان ذلك المحفوظ، وذلك " حتى تنشأ في النفس ملكة ينسج على منوالها، ويتخير المحفوظ من الحر النقي الكثير الأساليب ... ولا يعطيه الرونق والحلاوة إلا كثرة المحفوظ، فمن قل حفظه أو عدم لم يكن له شعر، وإنما هو نظم ساقط، واجتناب الشعر أولى بمن لم يكن له محفوظ، ثم بعد الامتلاء من الحفظ وشحذ القريحة للنسج على المنوال يقبل على النظم، وبالإكثار منه تستحكم ملكته وترسخ، وربما يقال إن من شرطه نسيان ذلك المحفوظ، لتمحى رسومه الحرفية الظاهرة، إذ هي صادة عن استعمالها بعينها، فإذا نسيها وقد تكيفت النفس بها، انتقش الأسلوب فيها، كأنه منوال يأخذ بالنسج عليه بأمثالها من كلمات أخرى ضرورة " [٣]

---

[١] النقد المنهجي عند العرب . د . محمد مندور . مكتبة نهضة مصر ٢٠٠٤م صـ ٣٥٨

[٢] الحيوان للجاحظ . تحقيق . عبد السلام هارون . مصطفي البابي الحلبي، الثانية ١٩٦٥ م ٣ / ١٣٢ .

[٣] ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر. عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (٨٠٨هـ) . تحقيق : خليل شحادة . دار الفكر، بيروت . الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م ج ١ / ص ٧٩٠

ومن ثم كان استخدام (الأخذ) في التعبير عن تأثر الشاعر بسابقه أوجه من السرق والغصب وغير ذلك [١] في نظر كثير من نقادنا القدامى، طالما أنه لا سبيل لتكوين الملكة الشعرية إلا بحفظ أشعار السابقين والسير على منوالها .

وبما أن كثيرين من أصحاب الموهبة الشعرية كانوا يحرصون على تجويد إنتاجهم، من خلال العمل برواية أشعار الفحول، نتيجة لإعجابهم بطرائقهم الفنية في تناول المعاني [٢] ـ فإن هذه التلمذة الناشئة عن الرواية لم تكن شرطا في تفوق المأخوذ عنه، في الوقت الذي لم تكن فيه دلالة ضعف من الآخذ، لأن الجودة والرداءة في البناء الفني للنص إنما يكون مرجعها إلى التجربة الشعرية، ومدى إحسان الشاعر في تلبية حاجاتها، الأمر الذي جعل الآمدي يقول في أخذ البحتري عن أبي تمام : " لا ينكر أن يكون قد استعار بعض معاني أبي تمام ؛ لقرب البلدين، وكثرة ما كان يطرق سمع البحتري من شعر أبي تمام فيعلق شيئاً من معانيه، معتمداً للأخذ أو غير معتمد.

قال صاحب البحتري : ليس ذلك بمانع من أن يكون البحتري أشعر منه ؛ فهذا كثير قد أخذ من جميل وتلمذ له، واستقى من معانيه، فما رأينا أحداً أطلق على كثير أن جميلاً أشعر منه، بل هو – عند أهل العلم بالشعر والرواية – أشعر من جميل "[٣]

ولكم ألح النقد العربي القديم في معالجته لقضية اللفظ والمعنى على التأكيد على أن الشعراء كانوا يستمدون معانيهم ممن سبقهم، لأن العبرة في نظر كثير منهم لم تكن في المعاني إذ هي بتعبير الجاحظ : " مطروحةٌ في الطريق يعرفها العجميُّ والعربيُّ والبدويُّ والقرَوي والمدنيّ وإنَّما الشأنُ في إقامةِ الوزن وتخيُّر اللفظ وسهولة المخرج وكثرة الماء، وفي صحَّة الطبع وجَودَة السَّبك "[٤]، ومن ثم لا نعجب حين نقف على قول الآمدي : إن " أهل العلم بالشعر لم يكونوا يرون سرقات المعاني من كبير مساوى الشعراء وخاصة المتأخرين، إذ كان هذا باباً ما تعرى منه متقدم ولا متأخر " [٥]

---

[١] ينظر : التناص الشعري . قراءة أخرى لقضية السرقات . د . مصطفى السعدني . منشأة المعارف بالأسكندرية ١٩٩١م .صـ ٥٤ .

[٢] يبدو التركيز على دور الرواية واضحا في مقولة أبي الفرج الأصبهاني : " قالوا كان جميل بن معمر العذري راوية هدبة وكان هدبة راوية الحطيئة وكان الحطيئة راوية كعب بن زهير وأبيه " ينظر : الأغاني أبو الفرج الأصبهاني . تحقيق علي مهنا وسمير جابر . دار الفكر للطباعة والنشر – لبنان ١٠ / ٢٧٦، كما يبدو أيضا من قول ابن قتيبة في أبي ذؤيب الهذلي الشاعر : " كان راوية لساعدة بن جؤية الهذلي " . الشعر والشعراء . أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (٢٧٦هـ): دار الحديث، القاهرة ١٤٢٣ هـ ج ٢/ ٦٣٩

[٣] الموازنة . الحسن بن بشر بن يحيى الآمدي . تحقيق السيد أحمد صقر . دار المعارف . الرابعة ١٩٨٢م ١ / ٨، ٩ .

[٤] الحيوان ٣ / ١٣١، ١٣٢ .

[٥] الموازنة ١ / ٣١١ .

وقول القلقشندي : " وهذا مما لا يستغني عنه ناظم ولا ناثر " [١]

بل إن منهم من أطلق الحكم، كما يبدو من قول الجاحظ : " ولا يعلم في الأرض شاعر تَقَدَّمَ في تشبيهٍ مُصيبٍ تامّ، وفي معنًى غريبٍ عجيب، أو في معنًى شريف كريم أو في بديعٍ مُخترع، إلاّ وكلُّ مَنْ جاءَ من الشُعَراءِ منْ بَعدِه أو معه، إنْ هو لم يعدُ على لفظه فيسرقَ بعضه أو يدعِيَه بأسْره، فإنّه لا يَدعُ أن يستعينَ بالمعنى، ويجعَلَ نفسه شريكاً فيه ؛ كالمعنى الذي تتنازعُه الشعراءُ فتختلف ألفاظهم، وأعاريضُ أشعارهِمْ، ولا يكون أحدٌ منهم أحقَّ بذلك المعنى من صاحبه، أو لعلّه أن يجحد أنّه سمع بذلك المعنى قَطُّ، وقال إنَّه خطرَ على بالي من غير سماع، كما خطَر على بال الأوَّل، هذا إذا قرَّعُوه به " [٢]

والتسليم بأمر التأثر بالمعاني جعل كثيرا من النقاد يتفننون في وضع الأطر التي تضبط هذه العملية النقدية، باعتبارها ثقافة تؤتي أكلها للموهوبين في مجال الشعر، ومن ثم يستطيع من خلالها الشاعر أن يأخذ المعنى مع وضع ملامح شخصيته وآلته الشاعرة، من خلال الاهتمام باللفظ والأسلوب، على النحو الذي يبدو من قول أبي هلال : " ليس لأحد من أصناف القائلين غنىً عن تناول المعاني ممن تقدّمهم والصبّ على قوالب من سبقهم، ولكن عليهم إذا أخذوها أن يكسوها ألفاظاً من عندهم، ويبرزوها في معارض من تأليفهم، ويوردوها في غير حليتها الأولى، ويزيدوا عليها في حسن تأليفها وجودة تركيبها وكمال حليتها ومعرضها، فإذا فعلوا ذلك فهم أحقّ بها ممن سبق إليها، ولولا أنّ القائل يؤدّى ما سمع لما كان في طاقته أن يقول، وإنما ينطقُ الطّفلُ بعد استماعه من البالغين " [٣]

كما يبدو أيضا في قول القاضي الجرجاني : " والسَّرَق – أيدك الله – داءٌ قديم، وعيبٌ عتيق، وما زال الشاعر يستعينُ بخاطرِ الآخر، ويستمدّ من قريحته، ويعتمدُ على معناه ولفظه ؛ وكان أكثره ظاهراً كالتوارد ... ثم تسبّب المحدثون إلى إخفائه بالنقل والقلب ؛ وتغيير المنهاج والترتيب، وتكلّفوا جبْرَ ما فيه من النقيصة بالزيادة والتأكيد والتعريض في حال، والتصريح في أخرى، والاحتجاج والتعليل ؛ فصار أحدهم إذا أخذ معنى أضاف إليه من هذه الأمور ما لا يقصر معه عن اختراعه وإبداع مثله " [٤]

فبينما كانت إشارة أبي هلال إلى كون الأمر مجرد استدعاء آلي للألفاظ كما يؤدي الطفل ما سمعه

---

[١] صبح الأعشى في صناعة الإنشاء . أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري (ت ٨٢١هـ) . دار الكتب العلمية، بيروت ٢ / 321.

[٢] الحيوان ٣/ ٣١١

[٣] الصناعتين . أبو هلال العسكري . تحقيق علي محمد البجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم . المكتبة العصرية ٢٠٠٤ م صـ ١٩٦ .

[٤] الوساطة بين المتنبي وخصومه . القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم و علي محمد البجاوي . عيسى البابي الحلبي صـ ٢١٤ .

من البالغين كما ذهب اللسانيون في العصر الحديث ـ نجد إشارة القاضي إلي خفاء الأخذ إشارة على قدر كبير من الأهمية، إذ إنها تضع أيدينا على الأساس النفسي الذي يلجىء الشاعر إلى إخفاء الأثر، لحزنه أنه سبق به، أو توارد معه غيره، وهو الذي بات يطلبه ويلح في طلبه، بل ربما جحد سماعه بالمعنى ممن سبقه كما أشار الجاحظ، ومن ثم كان إقرار ابن رشيق بصعوبة التحرز من هذا الأمر، وباحتياج الناقد في مثل هذا الموقف إلى ملكات خاصة تمكنه من إدراكه وذلك حيث يقول : " وهذا باب متسع جداً، لا يقدر أحد من الشعراء أن يدعى السلامة منه، وفيه أشياء غامضة، إلا عن البصير الحاذق بالصناعة، وأخر فاضحة لا تخفى على الجاهل المغفل "[١]

على أننا نرى في هذه السرقات . إن صحت التسمية . بابا من أبواب التأثير والتأثر في المعاني والألفاظ، يتم به حفظ الحياة للشعر العربي، أو للفرائد منه على وجه الخصوص، إذ إن في استئناس اللاحق ببيت السابق حياة لهذا البيت وقصيدته وتخليدا لذكرهما، ومحاولة التأكيد على استمرار القصيدة حية في الوعي الجمعي، بما يعد . في النهاية . إضافة لفن الشعر وليس طرحا منه على الإطلاق، لأن هذا التأثر وذلك التأثير قد دعت إليهما طبيعة البيئة العربية التي كانت تعظم من شأن (الرواية والحفظ والإحياء والمعارضة وعمود الشعر) كما ذهب الدكتور علي صبح [٢].

ولعل الذي دعا إلى إثارة قضية السرقات الشعرية في الآونة الأخيرة هو " اتصال النقد بالمثاقفة، ومحاولة الناقد أن يثبت كفايته في ميدان الاطلاع، ثم تطور الشعور بالحاجة إلى البحث في السرقات خضوعاً لنظرية – ربما كانت خاطئة – وهي أن المعاني قد استنفدها الشعراء الأقدمون، وأن الشاعر المحدث قد وقع في أزمة تحد من قدرته على الابتكار، ولهذا فهو إما أن يأخذ معاني من سبقه أو يولد معنى جديداً من معنى سابق، وبهذا يتفاوت المحدثون في قدرتهم من هذه الناحية، فمنهم من يقصر عن المعنى السابق، ومنهم من يحتذيه، ومنهم من يزيد عليه، ومنهم من يولد معنى لم يخطر للأول، وبذلك حل التوليد محل الابتكار " [٣]

ونظن أن أزمة الشاعر في العصر الحديث لم تكن أزمة جديدة، إذ إن معاني الاختراع والتوليد والتقصير والإجادة كانت من المباحث التي أولاها نقادنا القدامى مزيدا من الاهتمام، وحسبنا في الصفحات التالية أن نقف على جهد أحد نقاد الأدب في القرن الخامس الهجري وهو ابن رشيق القيرواني، لندلل على صدق ما قررته العقلية العربية في عصورها المتقدمة .

---

[١] العمدة لابن رشيق القيرواني . تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد . دار الجيل . الخامسة ١٤٠١ هـ – ١٩٨١ م .جـ ٢/ ٢٨٠ .

[٢] في النقد الأدبي . د . علي علي مصطفى صبح . طبعة المكتبة الأزهرية للتراث ١٩٩٨م صـ ٢٢٧ .

[٣] تاريخ النقد الأدبي عند العرب . د إحسان عباس (١٤٢٤هـ) دار الثقافة، بيروت – لبنان . الرابعة، ١٩٨٣م صـ ٣٣ .

المبحث الأول

ابن رشيق والسرقات الشعرية

نال كتاب العمدة حظوة كبيرة من الدارسين، نتيجة ما أودعه فيه ابن رشيق من صنوف أبواب الأدب، وشتيت أنواع البلاغة، ومن ثم أثنى كثير من النقاد على هذا العمل الفريد، وعدوه فتحا جديدا في التأليف البلاغي النقدي، على النحو الذي يبدو في قول ابن خلدون : " وهو الكتاب الذي انفرد بهذه الصناعة، وأعطاها حقها، ولم يكتب فيها أحد قبله ولا بعده مثله " [١]، وقول القفطي : " وهو أجل كتبه وأظهرها ... {فقد} اشتمل على ما لم يشتمل عليه تصنيف من نوعه، وأحسن فيه غاية الإحسان "[٢]

وقد انتقل ثناء كثير من النقاد من ثناء على تصنيف الكتاب إلى ثناء على الجهد النقدي فيه، فبينما عمم الأستاذ عبد الرءوف مخلوف في حكمه على جهد ابن رشيق في قوله : " تدور مباحث كتاب العمدة حول النقد والبلاغة، وله في ذلك الباع الذي لا يطاول ."[٣] ـ رأينا الدكتور إحسان عباس يذهب إلى أبعد من ذلك حين رأى أن الكتاب يعد ضلعا في مشروع نقدي متكامل يعكس جهود ابن رشيق في قوله : " ويمكن أن نعد عمل ابن رشيق في كتبه الثلاثة متكاملاً فقد حاول في دراسته لشعراء القيروان في كتاب " الأنموذج " أن يطبق بعض القواعد النقدية التي حشدها في كتاب " العمدة "، وعرض في أحد الفصول الأخيرة من " العمدة " لقضية السرقة في الشعر مورداً فيها آراء العلماء وبعض أمثلتهم، حتى إذا تعرض هو نفسه لتهمة السرقة عمل رسالة " قراضة الذهب " ليدل على اطلاعه ومقدرته في هذه الناحية، بما يضعه في مصاف من تعرضوا لهذا الموضوع من النقاد، ولكن كتاب العمدة أهمها وأبعدها أثراً، فهو كتاب جامع من حيث إنه معرض للآراء النقدية التي ظهرت في المشرق حتى عصر ابن رشيق، ... وقد ذكر في مقدمة الكتاب أنه رأى الناس قد بوبوا الكلام في الشعر أبواباً مبهمة وضرب كل واحد في جهة، فجمع أحسن ما قاله كل واحد منهم في كتابه : قال : " وعولت في أثره على قريحة نفسي ونتيجة خاطري، خوف التكرار ورجاء الاختصار، إلا ما تعلق بالخبر وضبطته

---

[١] ديوان المبتدأ والخبر ١ / ٧٩١

[٢] إنباه الرواة على أنباه النحاة . جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (٦٤٦ هـ) المكتبة العصرية، بيروت . الأولى، ١٤٢٤ هـ ١ / ٣٣٩) بتصرف .

[٣] نوابغ الفكر العربي . ابن رشيق القيرواني .عبد الرؤف مخلوف . دار المعارف ١٩٤٦ صـ ٧٣ .

الرواية فإنه لا سبيل إلى تغيير شيء من لفظه ولا معناه، فكل ما لم أسنده إلى رجل معروف باسمه ولا أحلت فيه على كتاب بعينه فهو من ذلك " [١]

ولكن الدكتور إحسان عباس عاد فاتهم ابن رشيق بضآلة حظه من الأصالة النقدية حيث قال : " ويجب أن نفهم أن تعويله على نتيجة خاطره وقريحة نفسه لا يعني الابتكار، وإنما يعني التصرف في النقل فيما يجوز فيه التصرف، فإذا لم يكن المنقول كذلك من خبر أو رواية فعندئذ يورده بنصه، وقد كانت هذه الطريقة أحياناً موهمة لأنها جعلت بعض الدارسين يظن أن الآراء التي لا تسند إلى مصدر فهي من ابتكار ابن رشيق ؛ وذلك خطأ لا يتبين إلا بعرض كتابه على ما سبق من كتب وآراء، وقد دلت هذه المعارضة على أن حظ ابن رشيق من الأصالة النقدية ضئيل " [٢]

وما ذهب إليه الدكتور إحسان عباس هو أمر ردده كثير من النقاد، فالدكتور بدوي طبانة يقول عن كتاب العمدة : " إن ملكة الابتكار البلاغي تكاد معالمها تكون مفقودة في هذا الكتاب، وإن كان لصاحبه شيء من الفضل فهو فيما جمعه من الروايات المأثورة وما نقله من كلام غيره من علماء البيان " [٣]

وقريب من هذا الرأي ما ذهب إليه الدكتور محمد مندور حيث يقول : "وتلا عبد القاهر مؤلفون بل وعاصره مؤلفون كأبي الحسن ابن رشيق القيرواني المتوفى سنة ٤٦٣هـ أو سنة ٤٥٦هـ، صاحب العمدة الذي جمع في كتابه الكثير من أخبار الأدب العربي والنقد العربي وعلوم اللغة دون أن يتضح للمؤلف منهج خاص وشخصية متميزة." [٤]

وكذلك ما قال به الدكتور عبد العزيز عتيق، حيث قال : " والمطلع على ما كتبه ابن رشيق يجد أنه تجميع لآراء من سبقوه إلى دراسة السرقات مع توضيحها بالأمثلة والشواهد المختلفة، فهو يلم بالألقاب التي استحدثها الحاتمي لأنواع السرقات في كتابه (حلية المحاضرة) " [٥]

ولكن الدكتور إحسان يعود فيثني على الكتاب وصاحبه قائلا : " ولكن ابن رشيق رغم ذلك ناقد قدير، لم تضع شخصيته بين آراء عبد الكريم والجمحي والمبرد والجاحظ وابن وكيع والرماني ودعبل والجرجاني والمرزوقي وابن قتيبة وقدامة والحمار السرقسطي وكثير غيرهم – سواء صرح بأسمائهم

---

[١] تاريخ النقد الأدبي عند العرب صـ ٤٤٤، وينظر : العمدة ١ / ١٧

[٢] تاريخ النقد الأدبي عند العرب صـ ٤٤٥ .

[٣] البيان العربي . د . بدوي طبانة . دار المنار . جدة . الطبعة السابعة ١٩٨٨م صـ ١٦٥ .

[٤] النقد المنهجي عند العرب صـ ٢٢٨

[٥] في النقد الأدبي د . عبد العزيز عتيق . دار النهضة العربية . بيروت صـ ١٩٧٢م

أم لم يصرح – ولعل ابن رشيق أبرز مثل على الناقد الذي يملك الإعجاب عن طريق شخصيته لا عن طريق الجدة في الرأي، ... غير أن العمدة يمتاز بين كتب النقد الأدبي بأنه احتوى ما يريده المتأدب من حديث عن الشعر ومن حديث في الشعر نفسه، فكل فصل فيه مستغن بنفسه حسن الإيراد والاقتصاص للخبر والرأي معاً، ولهذا . فيما أعتقد . نال الكتاب حظوة واسعة بعد القرن الخامس، وأصبح مثالاً يحتذيه من يكتبون في علم الشعر، ومنهلاً لطلاب النقد الأدبي يدرسه الدارسون ويلخصه الملخصون، حتى نال ثناء عريضاً من ابن خلدون ؛ لأن المثقف الذي كان يحرص على شيء من المعرفة النقدية لم يعد إذا قرأه بحاجة إلى أن يقرأ قدامة والآمدي والحاتمي والجرجاني، إذ استخرج ابن رشيق خير ما عندهم وأودعه كتابه، وهؤلاء هم أئمة النقد، فما ظنك إذا وجد فيه القارئ خلاصة لخير ما عند غيرهم أيضا " [١]

ويبدو الرأي الأخير للدكتور إحسان هو الرأي الأقرب إلى الصواب، لأن الناقد حتى في اختياراته يكون مطالبا باختيار ما يمثل منهجه ولذلك قيل : " اختيار الرجل قطعة من عقله "[٢]، وحسبنا في هذا المبحث أن نلقي الضوء على بعض جهود ابن رشيق في قضية السرقات، سواء تلك التي انطوى عليها باب (السرقات وما شاكلها) كما سماه ابن رشيق، أو تلك التي بثها ابن رشيق في كثير من أبواب كتابه، حتى نقرر ما نقرره على هدى وبصيرة .

والملاحظ بداية أن ابن رشيق لم يعط تصورا جديدا لمعالجة فكرة السرقات، كتصنيفها بحسب الجودة أو القبح، أو دخولها في باب السرقات أو عدم دخولها، أو سرقات اللفظ وسرقات المعنى . وإنما هجم على القضية كما عن له الأمر، دون الوقوف على المقصود بمصطلح (السرقة) .

ويمكن تعليل إهمال ابن رشيق الوقوف أمام المعنى اللغوي للسرقات، ربما لعلوقه بنفس المسلم من ناحية، وربما لعدم قناعته بإطلاق الكلمة أو التهمة في كثير من مواطن الأخذ .

غير أن الوقوف على المعنى اللغوي للسرقات قد يسهم . بداية . في إضاءة مفهوم السرقة الشعرية، الذي ظل مراوغا وما يزال، يقول ابن منظور : " سَرَق الشيء يسْرِقه سَرَقاً وسَرِقاً واستَرَقَه ... والاسم السَّرِق والسَّرِقة بكسر الراء فيهما ... ابن عرفة في قوله تعالى : (والسارِقُ والسارِقةُ) قال :

---

[١] تاريخ النقد الأدبي عند العرب صـ ٤٤٦ .

[٢] الصناعتين صـ ٣ .

السارق عند العرب من جاء مُسْتَتِراً إلى حِرْزٍ فأخذ منه ما ليس له، فإن أخذ من ظاهر فهو مُخْتَلِس ومُسْتَلِب ومُنْتَهِب ومُحْتَرِس، فإن مَنَعَ مما في يديه فهو غاصب [١]

فالسرقة معناها عمد السارق إلى أخذ ما هو بمنأى عنه في خفاء وستر، لأنه إن أخذه عيانا سمي بمسميات أخرى، ومن ثم يبدو الأخذ الجهوري بعيدا عن مجال السرقة، مما يشي . بداية . باستبعاد كثير من المصطلحات التي دخلت تساهلا في مجال السرقات، كالمرافدة والغصب وغيرهما من المصطلحات، وبخاصة أن معظم المصطلحات الأخرى الواردة في باب السرقات كانت تتوافق مع الأصل اللغوي للسرقة في الأخذ، وتختلف معها في الهيئة والطريقة .

أما عن جهود ابن رشيق في مجال السرقات فيمكن حصرها في عدة محاور يتضمنها البيان التالي :

١ . أهمية دراسة السرقات :

من اللمحات النقدية التي أشار إليها ابن رشيق ما أبداه من صعوبة العمل في السرقات الشعرية، إبرازا لأهمية الموضوع وصعوبته في آن، سواء من الناقد أم من الشاعر الممارس، حيث يقول " وهذا باب متسع جداً، لا يقدر أحد من الشعراء أن يدعى السلامة منه، وفيه أشياء غامضة، إلا عن البصير الحاذق بالصناعة، وأخر فاضحة لا تخفى على الجاهل المغفل "[٢]

غير أن التركيز في هذه الأهمية من ابن رشيق كان منصبا . إلى مدى بعيد . على الناقد الأدبي، بحكم أنه هو المكلف الشرعي بالحكم بالأخذ أو السرقة، ومن ثم تبدو معرفة السرقات أحد المكونات الرئيسة التي لا يكون الناقد ناقدا إلا بها، على النحو الذي يبدو فيما نقله ابن رشيق عن القاضي الجرجاني في قوله : " وقال الجرجاني وهو أصح مذهباً، وأكثر تحقيقاً من كثير ممن نظر في هذا الشأن : ولست تعد من جهابذة الكلام، ولا من نقاد الشعر، حتى تميز بين أصنافه وأقسامه، وتحيط علماً برتبه ومنازله، فتفصل بين السرق والغصب وبين الإغارة والاختلاس، وتعرف الإلمام من الملاحظة، وتفرق بين المشترك الذي لا يجوز ادعاء السرقة فيه والمبتذل الذي ليس واحد أحق به من الآخر، وبين المختص الذي حازه المبتدي فملكه واجتباه السابق فاقتطعه " [٣]

ويبدو أن ثناء ابن رشيق على الجرجاني كان ثناء معللا، إذ لا أدل على صوابية الرؤية لدى القاضي الجرجاني من قوله إن هذا الباب " يحتاج إلى إنعام الفكر وشدة البحث وحسن النظر،

---

[١] لسان العرب محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (٧١١هـ) . دار صادر – بيروت . الثالثة – ١٤١٤ هـ ١٠ / ١٥٥)

[٢] العمدة ٢ / ٢٨٠ .

[٣] السابق ٢ / ٢٨٠ .

والتحرز من الإقدام قبل التبيين والحكم إلا بعد الثقة، وقد يغمض ويخفى، وقد يذهب منه الواضح الجلي على من لم يكن مرتاضا بالصناعة ومتدربا بالنقد " [١]

ولا يفوت ابن رشيق أن يسلط الضوء على أهمية الموضوع بالنسبة للشاعر الممارس، حين ينقل رأي أستاذه عبد الكريم النهشلي حيث يقول :" واتكال الشاعر على السرقة بلادةٌ وعجز، وتركه كل معنى سبق إليه جهل، ولكن المختار له عندي أوسط الحالات " [٢]

فكلام النهشلي الذي نقله ابن رشيق يقدم النصح للمبدع الذي يعاني ألم التجربة، ويريد أن يخط اسمه في قائمة الشعراء المبدعين . بأنه ينبغي عليه أن يتجنب الإغراق في تقليد من سبقه، في الوقت الذي يجب عليه فيه ألا يتجاهل إبداعه، وهي نصيحة صادرة من شاعر ممارس يدرك قيمة ما يقول، ومن ثم صرح ابن رشيق . في جرأة . في نهاية النص بأن المختار هو أوسط الحالين، لأن في وقوف المبدع على المعاني التي سبقته صقلا لموهبته الشعرية، أما حين يتحول هذا الوقوف إلى محاكاة لهذه المعاني فذلك إهدار لقيمة الفن وضياع لشخصية المبدع .

فإذا ما قارنا بين عمل ابن رشيق التعليمي الجيد، وبين عمل ابن الأثير الذي همه الأول إخفاء السرقة . اتضح لنا الفرق بين ناقد يمارس الإبداع وناقد يوصي المبدع بإحكام إخفاء السرقة، حتى لا يستطيع الناقد إدراكها، يقول ابن الأثير : " واعلم أن الفائدة من هذا النوع أنك تعلم أين تضع يدك في أخذ المعاني إذ لا يستغني الآخر عن الاستعارة من الأول، لكن لا ينبغي لك أن تَعْجَل في سبك اللفظ على المعنى المسروق فتنادي على نفسك بالسرقة، فكثيرا ما رأينا من عجل في ذلك فعثر، وتعاطى فيه البديهة فعقر، والأصل المعتمد عليه في هذا الباب التورية والاختفاء بحيث يكون ذلك أخفى من سفاد الغراب، وأطرف من عنقاء مغرب في الإغراب " [٣]

---

[١] الوساطة بين المتنبي وخصومه صـ ٢٠٨ .

[٢] العمدة ٢ / ٢٨١ .

[٣] المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر . ضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد (٦٣٧هـ) تحقيق د . أحمد الحوفي، بدوي طبانة . دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة . القاهرة ٣ / ٢١٨) والعرب تزعم أن الغراب لا يسفد ومن أمثالهم : أخفى من سفاد الغراب فيزعمون أن اللقاح من مطاعمة الذكر والأنثى منهما، وانتقال جزء من الماء الذي في قانصته إليها من منقاره . شرح نهج البلاغة، أبو حامد عز الدين بن هبة الله بن محمد بن محمد بن أبي الحديد المدائني ٦٥٥ هـ، تحقيق : محمد عبد الكريم النمري . دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان – ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م، الطبعة : الأولى ٩ / ١٥٨

إذن فصاحب المثل السائر يريد أن يعلم الشعراء السرقة وطرق إخفائها، وذلك لأننا قد صرنا في القرن السابع إلى حالة لم يعد العلم يقصد فيها لذاته بل لفائدته، وكل دراسة لا بد لها من فائدة، ولو كانت تلك الفائدة تعلم السرقة "[١]

٢ . مفهوم السرقات :

اختلف النقاد في تفسير مفهوم السرقات ما بين شمول المصطلح اللفظ أو المعنى، أو كليهما معا، ويبدو أن ابن رشيق كان يضع المعنى عاملا أساسا في الحكم بوجود السرقة، ويبدو ذلك من نقله قول أستاذه عبد الكريم النهشلي حيث يقول : " قال عبد الكريم : قالوا السرق في الشعر ما نقل معناه دون لفظه، وأبعد في أخذه، على أن من الناس من بعد ذهنه إلا عن مثل بيت امرئ القيس وطرفة حين لم يختلفا إلا في القافية، فقال أحدهما : " وتحمل" وقال الآخر : " وتجلد" ومنهم من يحتاج إلى دليل من اللفظ مع المعنى، ويكون الغامض بمنزلة الظاهر وهم قليل." [٢]

وما قال به عبد الكريم جيد في بابه، إذ إنه يضع أيدينا على أساسين جيدين في السرقة : أحدهما : أن السرقة تنحصر . عند معظم النقاد . في المعاني دون الألفاظ، ومن ثم يحكم بالسرقة لقرب المعنى، حتى وإن لم يتشابه اللفظ، والثاني أن السرقة لا بد فيها من محاولة تخفي السارق، ومن ثم كان اشتراط الإبعاد في الأخذ، ومحاولة التخفي وإظهار البراءة من أخذ المعنى، وقد أجاد ابن رشيق حين قيد المعنى المأخوذ بكونه بديعا نادرا حيث قال : " والسرق أيضا إنما هو في البديع المخترع الذي يختص به شاعر، لا في المعاني المشتركة التي هي جارية في عاداتهم ومستعملة في أمثالهم ومحاوراتهم، مما ترتفع الظنة فيه عن الذي يورده أن يقال إنه أخذه من غيره " . [٣]

ولعل اعتبار المعنى في السرقة هو الذي جعل الآمدي يوصي من يطالع كتابه بطول النظر والتمهل حيث يقول : "ينبغي لمن نظر في هذا الكتاب أن لا يعجل بأن يقول : ما هذا مأخوذ من هذا، حتى يتأمل المعنى دون اللفظ، ويعمل الفكر فيما خفى، فإنما السرق في الشعر ما نقل معناه دون لفظه، وأبعد آخذه في أخذه. " [٤]

---

[١] النقد المنهجي عند العرب صـ ٣٧٣

[٢] العمدة ٢ / ٢٨١ .

[٣] العمدة ٢ / ٢٨١، وقد نقل ابن رشيق هذا المعنى من الآمدي حيث يقول : فيعلم أن السرق إنما هو في البديع المخترع الذي يختص به الشاعر، لا في المعاني المشتركة بين الناس التي هي جارية في عاداتهم، ومستعملة في أمثالهم ومحاوراتهم، مما ترتفع الظنة فيه عن الذي يورده أن يقال: أخذه من غيره. الموازنة ١ / ٣٤٦ .

[٤] الموازنة ١ / ٣٤٥

وبناء على ذلك ضاق مفهوم السرقة الذي ارتضاه ابن رشيق بحيث بات واضحا أن الشاعر لا يعد سارقا إذا تصرف في المعاني الشائعة والألفاظ الجارية، وإنما يعد كذلك إذا تعرض لمعنى خاص أو للفظ بديع تناوله غيره من الشعراء، ومن ثم فهو يعطي بحبوحة للشاعر في التعبير، ويوطد العلاقة بين السرقات وفكرة الاختراع والتوليد، يقول ابن رشيق في قراضة الذهب : " إن أهل التحصيل مجمعون من ذلك على أن السرقة إنما تقع في البديع النادر والخارج عن العادة، وذلك في العبارات التي هي الألفاظ ... لا ما كان الناس فيه شرعا واحدا من مستعمل اللفظ الجاري على عاداتهم وعلى ألسنتهم، وكذلك من المعاني الظاهرة المعتادة فإنها معرضة للأفهام، متسلطة على فكر الأنام. ومن ها هنا قل اختراع المعاني، وقلت السرقات فيها، وصارت إذا وقعت أشهر"[١]

ثم يعود ابن رشيق مرة أخرى ليوضح رؤيته في علاقة اللفظ بالمعنى في السرقات، حين ينقل رأي أحد المتأخرين في قوله : " وقال بعض الحذاق من المتأخرين : من أخذ معنى بلفظه كما هو كان سارقاً، فإن غير بعض اللفظ كان سالخا، فإن غير بعض المعنى ليخفيه أو قلبه عن وجهه كان ذلك دليل حذقه" [٢]

وهو ما أكد عليه ابن رشيق حين عالج فكرة السرقات في المعاني في باب آخر من كتابه وهو باب الاشتراك والتغاير) حيث يقول : " وأما الاشتراك في المعاني فنوعان : أحدهما : أن يشترك المعنيان وتختلف العبارة عنهما، فيتباعد اللفظان، وذلك هو الجيد المستحسن، نحو قول امرئ القيس :

كبكر المقاناة البياض بصفرة غذاها نمير الماء غير محلل

وقول غيلان ذي الرمة :

نجلاء في برج صفراء في نعجٍ كأنها فضة قد مسها ذهب

فوصفا جميعاً لوناً بعينه : فشبهه الأول بلون بيضة النعام، وشبهه الثاني بلون الفضة قد خالطها الذهب يسيراً ولذلك قال " قد مسها ذهب " [٣]

---

[١] قراضة الذهب في نقد أشعار العرب . ابن رشيق القيرواني . تحقيق . الشاذلي بو يحيى . الدار التونسية للتوزيع ١٩٧٢م صـ ٢٠

[٢] العمدة ٢ / ٢٨١ .

[٣] السابق ٢ / ١٠٠ .وينظر : الشعر والشعراء ١ / ٥٢٤

والنوع الثاني على ضربين : أحدهما : ما يوجد في الطباع من تشبيه الجاهل بالثور والحمار، والحسن بالشمس والقمر، والشجاع بالأسد وما شابهه، والسخي بالغيث والبحر، والعزيمة بالسيف والسيل، ونحو ذلك ؛ لأن الناس كلهم الفصيح والأعجم والناطق والأبكم فيه سواء ؛ لأنا نجده مركبا في الخليقة أولاً.

والآخر ضرب كان مخترعاً، ثم كثر حتى استوى فيه الناس، وتواطأ عليه الشعراء آخراً عن أول، نحو قولهم في صفة الخد " كالورد " وفي القد " كالغصن " وفي العين " كعين المهاة من الوحش " وفي العنق كعنق الظبي، وكإبريق الفضة أو الذهب فهذا النوع وما ناسبه قد كان مخترعاً، ثم تساوى الناس فيه، إلا أن يولد أحد منهم فيه زيادة، أو يخصه بقرينة؛ فيستوجب بها الانفراد من بينهم، ومثل ذلك تشبيه العزم بهبوب الريح، والذكاء بشواظ النار " [1]

٣ . طرائق أخذ المعنى :

ناقش ابن رشيق فكرة الاختراع والتوليد عندما يتفق الشاعران على معنى واحد، ووضع مجموعة من الأسس التي تجعل طرق الشاعر معنى من المعاني التي سبق بها أمرا مباحا، طالما أنه يحمل أثارة من جهد الشاعر، بل ربما فاق المتبع المبتدع، وهذه الأسس هي : أن يختصر الشاعر المعنى إن كان طويلًا / أو يبسطه إن كان كزًا / أو يبينه إن كان غامضًا / أو يختار له حسن الكلام إن كان سفسافًا / أو يختار له رشيق الوزن إن كان جافيًا / أو يقلبه، أو يصرفه عن وجهه إلى وجه آخر.

يقول ابن رشيق : " والمخترع معروف له فضله، متروك له من درجته، غير أن المتبع إذا تناول معنى فأجاده بأن يختصره إن كان طويلاً، أو يبسطه إن كان كزاً، أو يبينه إن كان غامضاً، أو يختار له حسن الكلام إن كان سفسافاً، أو رشيق الوزن إن كان جافياً فهو أولى به من مبتدعه، وكذلك إن قلبه أو صرفه عن وجه إلى وجه آخر، فأما إن ساوى المبتدع فله فضيلة حسن الاقتداء لا غيرها، فإن قصر كان ذلك دليلاً على سوء طبعه، وسقوط همته، وضعف قدرته "[2]

وإذا كان الدكتور هدارة قد حكم بتبعية ابن رشيق في تقسيم السرقات لأبي هلال حيث يقول : " ويبدو لي أن ابن رشيق قد اتبع خطوات أبي هلال في دراسة السرقات، إذ بدأ مثله بتقسيم المعاني إلى صنفين : مخترع لم يسبق قائله إليه، ومولد يستخرجه الشاعر من معنى شاعر تقدمه، أو يزيد

---

[1] العمدة ٢ / ١٠٠ .

[2] السابق ٢ / ٢٩٠، ٢٩١ .

فيه زيادة، ولا يقال له سرقة، على أن ابن رشيق يضيف إلى ذلك أن الشعراء لا زالوا يخترعون إلى عصرنا هذا، أي أنه يؤمن بأن المعاني لم تستنفد كما يقرر بعض النقاد " [١]

إذا كان كذلك فإنه يحمد لابن رشيق تحديد الطرائق التي يتم فيها أخذ المعنى بصورة جيدة، بحيث لا يستطيع الناقد أن يطلق على عمل الشاعر لفظ (سرقة)، وهو ما قال به كثير من النقاد كابن طباطبا والمرزباني وابن أبي الإصبع وغيرهم، يقول ابن طباطبا : " وإذَا تَنَاوَلَ الشَّاعِرُ المَعَانِي الَّتِي سُبِقَ إليها فأبْرَزَهَا فِي أحْسَنَ من الكِسْوَة الَّتِي عَلَيْهَا لَمْ يُعبْ بل وَجَبَ لَهُ فَضْلُ لُطْفِهِ وإحْسَانِهِ فِيهِ .... [٢]، ويقول في موضع آخر : " يَحتَاجُ من سَلكَ هَذِه السَّبيل إلى إلطَافِ الحِيلة، وتَدْقيق النَّظر فِي تنَاول المَعَاني واستعَارِتها وتَلْبيسِها حتَّى تَخْفَى على نُقَّادِهَا والبصَراءِ بهَا، ويَنْفَرد بِشُهرَتِهَا كأنَّهُ غَيْرُ مَسْبُوقٍ إليها؛ فيَسْتَعْمِلُ المَعَاني المَأخُوذَةَ فِي غَيْر الجِنْسِ الَّذِي تَنَاولَهَا مِنهُ، فَإذا وَجَدَ مَعْنىً لطيفاً فِي تَشْبيبٍ أَو غَزَلٍ استَعْمَلَهُ فِي المَديح، وإنْ وَجَدَهُ فِي المَدِيحِ اسْتَعْمَلَهُ فِي الهِجَاءِ، وإنْ وجَدَهُ فِي وَصْفِ ناقَةٍ أَو فَرَسٍ اسْتَعْمَلَهُ فِي وَصْفِ الإنْسَان، وإنْ وَجَدَهُ فِي وَصْفِ إنسانٍ اسْتَعْمَلَهُ فِي وَصْفِ بَهِيَمةٍ، فإنَّ عَكَس المَعَاني على اختلافِ وُجُوهِها غير مُتَعَذَّرٍ على مَنْ أحْسَنَ عَكْسَها واستِعمالها فِي الأبوابِ الَّتِي يُحتَاجُ إليها، وَإن وَجَد المَعْني اللَّطيفَ فِي المَنْثُورِ من الكَلاَم، وَفِي الخُطَب والرَّسَائلِ والأمثال، فَتَناوَلَهُ وَجعله شِعْراً كانَ أَخْفَى وأحْسَنَ، ويَكُونُ ذَلِك كالصَّائغِ الَّذِي يُذيبُ الذَّهَبَ والفِضَّةِ المَصُوغَيْنِ فَيُعِيدُ صِيَاغَتَهُمَا بأحْسَنَ مِمَّا كَانَا عليهِ، وكالصَّباغِ الَّذِي يَصبَغُ الثَّوْبَ على مَا رَأى من الأصباغِ الحَسَنةِ؛ فَإذا أبْرَزَ الصَّائِغُ مَا صَاغَهُ فِي غَيْرِ الهَيْئَة الَّتِي عُهِدَ عَلَيْهَا، وأظْهَرَ الصَبَّاغُ مَا صَبَغَهُ على غَيْرِ اللَّونِ الَّذِي عُهِدَ قَبْلُ، الْتَبَسَ الأمْرُ فِي المَصُوغِ وَفِي المصْبُوغِ على رائيهما، فَكَذَلِك المَعَاني وأخْذُهَا واستِعْمالُهَا فِي الأشْعَار على اختِلافِ فُنُونِ القَوْل فِيهَا." [٣]

ويقول المرزباني : " ولا يعذر الشاعر فى سرقته حتى يزيد فى إضاءة المعنى أو يأتي بأجزل من الكلام الأول، أو يسنح له بذلك معنى يفضح به ما تقدّمه، ولا يفتضح به، وينظر إلى ما قصده نظر مستغن عنه لا فقير إليه [٤]

---

[١] مشكلة السرقات في النقد العربي . د . محمد مصطفى هدارة . مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٥٨م صـ ٩٨

[٢] عيار الشعر . محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم طباطبا، الحسني العلوي، أبو الحسن (٣٢٢هـ . تحقيق عبد العزيز بن ناصر المانع . مكتبة الخانجي – القاهرة صـ ١٢٣

[٣] عيار الشعر صـ ١٢٦، ١٢٧ .

[٤] الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء صـ ٣١٢ .

ويقول ابن أبي الإصبع : " والاشتراك الذي ليس بمعيب ولا بحسن تناول الشاعر اللفظ المتضمن معنى من معاني البديع بحيث ينقله من فن إلى فن، وذلك أن يأتي المتكلم بلفظ " قيد الأوابد " مثلاً في غير صفة الفرس وهذا وإن لم يقع فذكره مثال يقاس عليه" [١]

كما يحمد لابن رشيق تقسيم المتبع إلى ثلاثة أقسام : إما متبع جيد يكون أولى بالمعنى من مبتدعه، وإما مساو للمبتدع ليس له إلا حسن الاتباع والاقتداء، وإما مقصر مسيء، دل تقصيره على ضعف شاعر يته، وذلك واضح في قول ابن رشيق : " فمما أجاد فيه المتبع على المبتدع قول الشماخ :

إذا بلغتني وحملت رحلي عرابة فاشرقي بدم الوتين

فقال أبو نواس :

أقول لناقتي إذ بلغتني لقد أصبحت مني باليمين

فلم أجعلك للغربان نحلاً ولا قلت " اشرقي بدم الوتين "

وكرره فقال :

وإذا المطي بنا بلغن محمداً فظهورهن على الرجال حرام

قربننا من خير من وطئ الحصى فلها علينا حرمة وذمام

ومما يتساوى فيه السارق والمسروق منه قول امرئ القيس فلو أنها نفس البيت، وقول عبدة بن الطبيب فما كان قيس البيت." [٢]

---

[١] تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن . عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع العدواني، البغدادي ثم المصري (٦٥٤هـ)تقديم وتحقيق: الدكتور حفني محمد شرف: الجمهورية العربية المتحدة – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي صـ ٣٤١

[٢] العمدة ٢ / ٢٩١ . وينظر : المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت الحوفي – ٤ / ٣، والعقد الفريد . أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم المعروف بابن عبد ربه الأندلسي (٣٢٨هـ) . دار الكتب العلمية – بيروت . الأولى ١٤٠٤ هـ ٦ / ١٨٨، ١٨٩، ومعنى الشماخ وأبي نواس في حلية المحاضرة ٢/ ٨٤-٨٦، وبيتا امرئ القيس وعبدة بن الطبيب فيه ٢/ ٧٣، وقول ابن رشيق : قول امرئ القيس فلو أنها نفس البيت، وقول عبدة بن الطبيب فما كان قيس البيت " هو من أمثلة الحاتمي، ويعني به قول امريء القيس [طويل]:

فلو أنها نفس تموت سوية ولكنها نفس تساقط أنفسا

وقول عبدة بن الطبيب [طويل]:

فَمَا كَانَ قَيْسٌ هُلْكُه هُلْكَ وَاحِدٍ ولكنهُ بُنيانُ قَوْمٍ تَهَدَّما

أرى بونا بين المعنى في البيتين، إذ إن في صورة امريء القيس جدة وطرافة ولطفا لا نجد مثله في بيت عبدة، وبخاصة عندما نستحضر ما يصاحب البنيان المتهدم من جلبة وضجيج .

وسوء الاتباع أن يعمل الشاعر معنى رديا ولفظاً رديا مستهجناً ثم يأتي من بعده فيتبعه فيه على رداءته، نحو قول أبي تمام :

باشـــرت أســـباب الغنـــى بمـــدائح ضـــربت بـــأبواب الملـــوك طبـــولا

فقال أبو الطيب :

إذا كـــان بعـــض النـــاس ســـيفاً لدولـــة ففـــي النـــاس بوقـــات لهـــا وطبـــول

فسرق هذه اللفظة لئلا تفوته.

ومما قصر فيه الآخذ عن المأخوذ منه قول أبي دهبل الجمحي في معنى بيت الشماخ :

يـا نـاق سـيري وأشرقـي بـــــدم إذا جئـــــت المغـــــيرة

سيشـــــيبني أخـــــرى ســـــوا ك وتلـــــك لـــــي منـــــه يســـــيره

فأنت ترى أين بلغت همته؟؟ "[1]

كما يحمد لابن رشيق أيضا تفرقته الجيدة بين التوليد والاختراع حيث يقول " والفرق بين الاختراع والإبداع وإن كان معناهما في العربية واحداً أن الاختراع : خلق المعاني التي لم يسبق إليها، والإتيان بما لم يكن منها قط، والإبداع إتيان الشاعر بالمعنى المستظرف، والذي لم تجر العادة بمثله، ثم لزمته هذه التسمية حتى قيل له بديع وإن كثر وتكرر، فصار الاختراع للمعنى والإبداع للفظ؛ فإذا تم للشاعر أن يأتي بمعنى مخترع في لفظ بديع فقد استولى على الأمد، وحاز قصب السبق. [2]

كما يتحدث ابن رشيق عن اختراع المعاني في (باب المخترع والبديع) وعن علاقته بالسرقة فيقول : " وما زالت الشعراء تخترع إلى عصرنا هذا وتولد، غير أن ذلك قليل في الوقت، والتوليد : أن يستخرج الشاعر معنى من معنى شاعر تقدمه، أو يزيد فيه زيادة؛ فلذلك يسمى التوليد، وليس باختراع؛ لما فيه من الاقتداء بغيره، ولا يقال له أيضاً سرقة إذا كان ليس آخذاً على وجهه، مثال ذلك قول امرئ القيس :

---

[1] العمدة ٢ / ٢٩١، ٢٩٢ . وينظر : خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب . عبد القادر بن عمر البغدادي (١٠٩٣هـ) تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون . مكتبة الخانجي، القاهرة : الرابعة، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م– ٣ / ٣٩، ينظر : الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء . أبو عبيد الله بن محمد بن عمران بن موسى المرزباني (٣٨٤هـ) . المطبعة السلفية بالقاهرة ١٣٤٣هـ صـ ٧٠

[2] العمدة 1 / ٢٦٥ . وينظر : تاريخ آداب العرب: مصطفى صادق الرافعي . دار الكتاب العربي ٣ / ٣٨

سموت إليها بعد ما نام أهلها سمو حباب الماء حالاً على حال

فقال عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة، وقيل : وضاح اليمن :

فاسقط علينا كسقوط النوى ليلة لا نـاهٍ ولا زاجر

فولد معنى مليحاً اقتدى فيه بمعنى امرئ القيس دون أن يشركه في شيء من لفظه، أو ينحو نحوه إلا في المحصول، وهو لطف الوصول إلى حاجته في خفية.

وأما الذي فيه زيادة فكقول جرير يصف الخيل :

يخرجن من مستطير النقع داميةً كأن آذانها أطراف أقلام

فقال عدي بن الرقاع يصف قرن الغزال :

تزجي أغن كأن إبرة روقه قلم أصاب من الدواة مدادها

فولد بعد ذكر القلم إصابته مداد الدواة بما يقتضيه المعنى؛ إذ كان القرن أسود. [1]

٤ . التنازع في المعاني :

أجاد ابن رشيق تحديد المعايير التي يلجأ إليها النقاد للحكم عند تنازع الشاعرين في المعنى، فالمعنى . عنده ـ للأقدم موتا والأعلى سنا، فإن تعاصرا فللأجود سبكا، والأكثر تبعا، لأنه الأحق بالمعنى، يقول ابن رشيق : " وكانوا يقضون في السرقات أن الشاعرين إذا ركبا معنى كان أولاهما به أقدمهما موتاً، وأعلاهما سناً، فإن جمعهما عصر واحد كان ملحقاً بأولاهما بالإحسان، وإن كانا في مرتبة واحدة روي لهما جميعاً، وإنما هذا فيما سوى المختص الذي حازه قائله، واقتطعه صاحبه، ألا ترى أن الأعشى سبق إلى قوله :

وفي كل عام أنت جاشم غزوة تشد لأقصاها عزيم عزائكا

موروثة مجداً، وفي الأصل رفعة لما ضاع فيها من قروء نسائكا

فأخذه النابغة فقال :

شعب العلافيّات بين فروجهم والمحصنات عوازب الأطهار

---

[1] العمدة ٢ / ٢٦٣، ٢٦٤ . وينظر : ديوان المعاني أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (نحو ٣٩٥هـ) دار الجيل – بيروت ١ / ٢٢٥، والعقد الفريد ٤ / ٢٧٦، وبيت جرير منسوب لعدي فيه .

وبيت النابغة خير من بيت الأعشى باختصاره، وبما فيه من المناسبة بذكر الشعب بين الفروج وذكره النساء بعد ذلك، وأخذه الناس من بعده، فلم يغلبه على معناه أحد، ولا شاركه فيه، بل جعل مقتدياً تابعاً، وإن كان مقدماً عليه في حياته، وسابقاً له بمماته... وكذلك سائر المعاني المفردة والتشبيهات العقم تجري هذا المجرى " [١]

وتعليق ابن رشيق على بيت النابغة نابع من بصر بأصول النقد التي تضم القرين إلى قرينه، وتحكم بالأفضلية للمعنى الأكثر جذبا للشعراء، وأغلب ما يكون ذلك في سائر المعاني المفردة والتشبيهات العقم، فلا عجب والحال كذلك إن أخذه شعراء كثيرون من بعد النابغة كخداش بن زهير والأخطل وغيرهم يقول خداش : كامل :

أفبعد مقتل مالك بن زهير ترجو النساء عواقب الأطهار

ويقول الأخطل بسيط :

قوم إذا حاربوا شدوا مآزرهم دون النساء ولو باتت بأطهار[٢]

٥ . الحكم بالسرقة أو الأخذ في كثير من مواطن الكتاب :

لم يقف عطاء ابن رشيق في مجال السرقات الشعرية عند الباب الذي خصصه لذلك في كتابه وسماه (باب السرقات وما شاكلها)، وإنما وجدنا اهتمامه بالسرقات منتشرا في كثير من أبواب الكتاب الأخرى التي تشاكل باب السرقات كباب (المبدأ والخروج)، وباب (الإشارة)، وباب (المشاهير من الشعراء)، وباب (حد الشعر وبنيته)، وباب (الاتساع)، وباب (التشبيه)، وباب (بيوتات الشعر) وغيرها من أبواب الكتاب .

---

[١] العمدة ٢ / ٢٩٢ . والعلافيات رحال منسوبة إلى علاف رجل من قضاعة، هؤلاء قوم في غزو فأطهار نسائهم عازبة عنهم، وشعب الرحال بين أرجلهم .ينظر : المعاني الكبير في أبيات المعاني . أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (٢٧٦هـ) تحقيق : المستشرق د سالم الكرنكوي (ت ١٣٧٣ هـ)، عبد الرحمن بن يحيى بن علي اليماني (١٣١٣ – ١٣٨٦ هـ) . مطبعة دائرة المعارف العثمانية – حيدر آباد الدكن بالهند [الطبعة الأولى ١٣٦٨هـ، ١٩٤٩م] ثم صورتها: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٤ م ٢ / ٨٩٧

[٢] المعاني الكبير في أبيات المعاني ٢ / ٨٩٧

وإذا كان هناك من الباحثين من ذهب إلى تهميش جهود ابن رشيق في هذه القضية على حد قول الدكتور هدارة " من الممكن أن نقول إن منهج ابن رشيق في دراسة السرقات في كتاب العمدة قد استوعب جميع الأفكار التي سبقته، ولم يكن له إلا فضل جمعها وتأكيدها، وان كانت له مع ذلك نظرات في بعض المواضع لها قيمتها "[1] . فإني أرى أن ابن رشيق قد حاول في هذا القسم من كتابه أن يكون شيئا مذكورا في مجال النقد، مبتعدا إلى مدى بعيد عن نقل الآراء وحشدها في خدمة قضيته كما اشتهر عنه، حيث ظهرت له نظرات نقدية قيمة في كثير من المواطن التي حكم فيها بالسرقة أو بالأخذ على الشاعر، رغم أنها متناثرة في كثير من أبواب كتابه، وبعيدة عن المكان الذي حدده لدراسة السرقات الأدبية فيه .

ويلوح التعبير بالسرقة أو الأخذ هما التعبيرين المفضلين اللذين ارتضاهما ابن رشيق شأنه في ذلك شأن كثير من النقاد، يدل على ذلك أن ابن رشيق لم يعط تعريفا صريحا لهما، كما أننا لم نر إلحاح النقاد على كثير من المصطلحات التي ذكرها الحاتمي وغيره، بما يبرهن على أنها كانت مصطلحات تقنينية لمسألة التأثير والتأثر بين الشعراء .

والملاحظ أن حكم ابن رشيق في المواطن التي حكم فيها بالسرقة أو الأخذ كان منصبا على المعنى الجيد البديع كما سلفت الإشارة، مما يؤكد نظرة ابن رشيق في اقتناعه أن السرقة لا تكون إلا في المعاني المخترعة البديعة .

١ . فمن المواطن التي حكم فيها بالسرقة الظريفة المليحة قوله في باب (الإشارة) : " ومن مليح الرمز قول أبي نواس يصف كؤوساً ممزوجة فيها صور منقوشة :

قرارتهـــا كســـرى، وفـــي جنباتهـــا مهـــا تـــدريها بالقســـي الفـــوارس

فللخمـــر مـــا زرت عليـــه جيوبهـــا وللمـــاء مـــا دارت عليـــه القلانـــس

يقول : إن حد الخمر من صور هذه الفوارس التي في الكؤوس إلى التراقي والنحور، وزبد الماء فيها مزاجاً، فانتهى الشراب إلى فوق رءوسها، ويجوز أن يكون انتهاء الحباب إلى ذلك الموضع لما مزجت فأزبدت، والأول أملح، وفائدته معرفة حدها صرفاً من معرفة حدها ممزوجة، وهذا عندهم مما سبق إليه أبو نواس، وأرى والله أعلم إنما تحلق على المعنى من قول امرئ القيس :

---

[1] مشكلة السرقات صـ ٩٨

فلما استطابوا صُبّ في الصحن نصفه ووافى بماء غير طرقٍ ولا كدر

ويروي (ووافوا) وإياه أردت، ويروى (استظلوا) من الظل مكان (استطابوا) جعل الماء والشراب قسمين لقوة الشراب، فتسلق الحسن عليه، وأخفاه بما شغل به الكلام من ذكر الصورة المنقوشة في الكؤوس، إلا أنها سرقة ظريفة مليحة، ولم يكن أبو نواس يرضى أن يتعلق بمن دون امرئ القيس وأصحابه. [١]

فالتعبير بـ (تحلق على المعنى) يوحي بأن ابن رشيق لم يكن على يقين من وقوع الشاعر في السرقة، ومن ثم وجدنا النزعة الدينية تسيطر عليه فيقول : " وأرى والله أعلم إنما تحلق على المعنى"، إكبارا لهذا المعنى البديع الذي تناوله كثير من النقاد، دون إشارة إلى بيت امريء القيس.[٢]

كما تبدو هذه النزعة أيضا في قوله في باب (حد الشعر وبنيته) : " وقال عبد الملك بن مروان لأرطأة بن سهية : أتقول الشعر اليوم؟ فقال : والله ما أطرب، ولا أغضب، ولا أشرب، ولا أرغب، وإنما يجيء الشعر عند إحداهن. قال أبو علي البصير :

مدحت الأمير الفتح أطلب عرفه وهل يستزاد قائل وهو راغب

فأفنى فنون الشعر وهي كثيرة وما فنيت آثاره والمناقب

فجعل الرغبة غاية لا مزيد عليها.قال صاحب الكتاب : ومن هذا المنثور والله أعلم سرق البصير بيته المتقدم في الفتح بن خاقان "[٣]

والملاحظ أن ابن رشيق رغم اشتهار موقف أرطأة لا يغامر بالقطع في سرقة معناه على يد أبي علي البصير، ربما لكون المعنى المأخوذ بعيدا عن الإطار الشعري، كما يبدو ذلك من قول ابن رشيق في باب (المبدأ والخروج) : عن أبي الطيب المتنبي : " ويقع له في الخروج ما كان تركه أولى به، وأشعر له، وإنما أدخله فيه حب الإغراب في باب التوليد، حتى جاء بالغث البارد، والبشع المتكلف، نحو قوله :

---

[١] العمدة ١ / ٣٠٦ .

[٢] ينظر على سبيل المثال : الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز . يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي الملقب بالمؤيد بالله (٧٤٥هـ) . المكتبة العنصرية – بيروت . الأولى، ١٤٢٣ هـ ١ / ٩٩، المثل السائر – ٢ / ٢٧١ .

[٣] العمدة ١ / ١٢٠، ١٢١ .

أحبـــك أو يقولـــوا جـــر نمـــل ثبيـــراً، وابـــن إبـــراهيم ريعـــا

فهذا من البشاعة والشناعة بحيث لا يخفى على أحد، وما أظنه سرق هذا المعنى الشريف إلا من كذبة كذبها أبو العباس الصيمري عن لسان رجل زعم أنه قال : رأيت رجلاً نام ويده غمرة فجره النمل ثلاثة فراسخ، فقد جعل أبو الطيب مكان الرجل جبلاً، وإن أعلمنا الإغراق في مراده ولفظه[1]. ولكننا وجدنا ابن رشيق يلقى بالتهمة بالسرقة . أحيانا دون دليل، على النحو الذي يبدو في قوله في باب (المشاهير من الشعراء) : " وديك الجن، وهو شاعر الشام، لم يذكر مع أبي تمام إلا مجازاً، وهو أقدم منه، وقد كان أبو تمام أخذ عنه أمثلة من شعره يحتذى عليها فسرقها " [2]

٢ . ومن المواطن التي حكم فيه ابن رشيق بالأخذ أو الإشارة دون النص على السرقة قوله في باب (حد الشعر وبنيته) :" وسئل بعض أهل الأدب : من أشعر الناس؟ فقال : من أكرهك شعره على هجو ذويك ومدح أعاديك، يريد الذي تستحسنه فتحفظ منه ما فيه عليك وصمة، وخلاف للشهوة، وهذا ذوب قول أبي الطيب :

وأســـمع مـــن ألفاظـــه اللغـــة التـــي يلـــذ بهـــا ســـمعي ولـــو ضـــمنت شـــتمي

أخذه من قول أبي تمام

فـــإن أنـــا لـــم يمـــدحك عنـــي صـــاغراً عـــدوك فـــاعلم أننـــي غيـــر حامـــد

واتبعه البحتري في ذلك فقال : [3]

---

[1] السابق ١ / ٢٤٠ .

[2] السابق ١ / ١٠١ .

[3] العمدة ١ / ١٢٢ .، ومعنى قول أبي تمام : " يريد بمدحه عنه حفظه مدحه فيه وإنشاده، أي: إن لم أكن أجيد القول في مدحك حتى يدعو حسنه عدوك أن يحفظه ويلهج به صاغرا ؛ فلا تَعُدني حامدا لك بما أقول فيك . ووصفه بالصَّغار ؛ لأن من يحفظ مديح عدوه وينشده فقد أذل نفسه، فكنى بحفظ عدو الممدوح مدحه له عن إجادته القول في مدحه . بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة . عبد المتعال الصعيدي (١٣٩١هـ) مكتبة الآداب . السابعة عشر: ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م ٣ / ٥٤٥

ليواصـــلنك ركـــب شـــعري ســـائراً يرويـــــه فيـــك لحســـنه الأعـــداء

وأرى أن الحكم بأخذ المتنبي هنا بعيد، إذ المعنى في بيته متعلق بطرب الشاعر ذاته بألفاظ اللغة التي تصدر عن الممدوح، حتى لو تضمنت شتمه، أما في بيت أبي تمام فالشاعر يعترف بأنه سوف يصاب بالحزن إذا لم يمدح الممدوح عدوُّه، وبين الشتم والمدح بون بعيد، أما علاقة الأخذ بين البحتري وأبي تمام فواضحة .

ومما حكم فيه بالأخذ أيضا قوله في باب (الاتساع) : " ويتعلق بهذا قول أبي الطيب يذكر الروم :

وقـــد بـــردت فـــوق اللقـــان دمـــاؤهم ونحـــن أنـــاس نُتبـــع البـــارد الســـخنا

أراد أنا نتبع البارد من الدماء سخنا، كأنه يتوعدهم بقتل آخر، فيكون قد أخذه من قول سويد بن كراع وهي أمه يصف كلاباً وثوراً : [١]

فهـــز عليـــه المـــوت والمـــوت دونـــه علـــى روقـــه منـــه مـــذاب وجامـــد

فقالوا : إن الملوك لا تمدح بما يلزمها فعله كما تمدح العامة، وإنما تمدح بالإغراق والتفضيل بما لا يتسع غيرهم لبذله، ومن هذا النوع قول كثير :

رأيـت ابـن ليلـى يعتـري صـلب مالـه مســائل شــتى مــن غنــي ومصــرم

مســائل إن توجــد لــديك تجــد بهــا يـــداك، وإن تظلـــم بهـــا تـــتظلم

لأن هذا إنما يقع لمن دون الخليفة والملك، وإنما أخذه من قول زهير في هرم ابن سنان، وليس بملك، ولذلك حسن قوله :

هــو الجــواد الــذي يعطيــك نائلــه عفـــواً، ويظلـــم أحيانـــاً فـــيظلم

يريد أنه يسأل ما ليس قبله فيحتمله . [٢]

هذا وأنكر الجرجاني على أبي الطيب قوله :

---

[١] العمدة ٢ / ٩٥ .

[٢] العمدة ٢ / ١٣٠ .

مـا بقـومي شـرفت بـل شـرفوا بـي وبنفسـي فخـرت لا بجـدودي

وإنما أخذه من قول علي بن جبلة حيث يقول :

ومـا سـودت عجـلاً مـآثر غيـرهم ولكـن بهـم سـادت علـى غيـرهم عجـل

قال : وهذا معنى سوء يقصر بالممدوح، ويغض من حسبه، ويحقر من شأن سلفه، وإنما طريقة المدح أن يجعل الممدوح يشرف بآبائه، والآباء تزداد شرفاً به؛ فجعل لكل واحد منهم حظاً في الفخر وفي المدح نصيباً، وإذا حصلت الحقائق كان النصيبان مقسومين، بل كان الكل خالصاً لكل فريق منهم؛ لأن شرف الوالد جزء من ميراثه، ومنتقل إلى ولده كانتقال ماله، فإن رعى وحرس ثبت وازداد، وإن أهمل وضيع هلك وباد. وكذلك شرف الوالد يعم القبيلة، وللولد منه القسم الأوفر، والحظ الأكبر. [1]

والتفات كثير إلى بيت النابغة أشار إليه ابن قتيبة حيث قال : " سبق زهير إلى هذا المعنى، لا ينازعه فيه أحد غير كثير، فإنّه قال يمدح عبد العزيز بن مروان :

رأيـت ابـن ليلـى يعتـري صـلب مالـه مسـائل شـتى مـن غنـي ومصـرم[2]

كما أن أخذ أبي الطيب بيت علي بن جبلة أشار إليه كثير من النقاد، يقول الجرجاني : " وجرى أبو الطيب على منهاج ابن جبَلة ... فختم القول بأنه لا شرف له بآبائه. وهذا هجْوٌ صريح، وقد رأيتُ من يعتذر به فيزعم أنه أراد : ما شرفت فقط بآبائي، أي لي مفاخر غير الأبوة، وفيّ مناقبُ سوى الحسب. وباب التأويل واسع، والمقاصد مغيّبة، وإنما يُستشهد بالظاهر ويتبع موقع اللفظ. فأما قوله : (وبنفسي فخرت لا بجدودي) فهو صالح ؛ لأنه لم ينْفِ أن يكون له فيهم وبهم رتبة في الفخر، لكنه قال : أكتفي في افتخاري عليكم بنفسي فأفضلُكم ولا أفتقر إلى مفاخر جدودي وأتركها وادعة موفورة " [3]

---

[1] العمدة ٢ / ١٤٥، ١٤٦ .

[2] الشعر والشعراء ١ / ١٤١

[3] الوساطه بين المتنبي وخصومه ونقد شعره ١ / ٣٧٤، ٣٧٥، وينظر : محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء – أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (٥٠٢هـ) شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت : الأولى، ١٤٢٠ هـ ١ / ٤٠٧)، المنصف للسارق والمسروق منه . الحسن بن علي الضبي التنيسي أبو محمد، المعروف بابن وكيع (٣٩٣هـ) . حققه وقدم له: عمر خليفة بن إدريس . جامعة قار يونس، بنغازي . الأولى، ١٩٩٤ م صـ ٢٦٥)

وفي باب (التشبيه) تحدث ابن رشيق عن التشبيهات العقم ثم قال : " وأجرى الناس هذا المجرى قول صريع الغواني على أنه لم يقع لأحد مثله، وهو :

فلطـــت بأيـــديها ثمـــار نحورهـــا كأيـــدي الأســـارى أثقلتهـــا الجوامـــع

فهذا تشبيه مصيب جداً ... وإنما أشار إلى قول النابغة :

ويخططـن بالعيـدان فـي كـل منـزل ويخبـــأن رمـــان الثـــدي النواهـــد

ومثله قول أبي محجن الثقفي في وصف قينة :

وترفـــع الصـــوت أحيانـــاً وتخفضـــه كمـــا يطـــن ذبـــاب الروضـــة الغـــرد

فأي قينة تحب أن تشبه بالذباب؟ وقد سرق بيت عنترة وقلبه فأفسده. [1]

وقد تناول معنى بيت النابغة كثير من الشعراء غير مسلم، يقول الثعالبي : وَمن الصُّدُور المستعارة صدر النَّهَار وَصدر الْمجْلس وَصدر الْإِسْلَام، (ثمار النحور) هى الثدىّ من قَول مُسلم بن الْوَلِيد وَهُوَ من استعاراته الْحَسَنَة :

(فغطـــت بأيـــديها ثمـــار نحورهـــا كأيـــدى الْأُســـارَى أثقلتهـــا الْجَوَامِـــع)

وَأَخذه ديك الْجِنّ الحمصى فَقَالَ :

(ظللـــت بهَـــا أجنـــى ثمـــار نحورهـــا فتوســـعنى ســـبا وأوســـعها صـــبرا)

وَأَخذه كشاجم فَقَالَ :

(غـــذتها نعْمَـــة ولذيـــذ عَـــيْش فأنبـــت صـــدرها ثَمَـــر الشَّـــبَاب)

وَمَا أَمْلَح قَول ابْن المعتز :

---

[1] العمدة ١ / ٣٠١، ٣٠٢ . وبيت أبي محجن للأقيشر، واسمه المغيرة، يصف مغنية في حماسة القرشي : عباس بن محمد بن مسعود القرشي النجفي (١٢٩٩هـ) المحقق : خير الدين محمود قبلاوي . وزارة الثقافة، الجمهورية العربية السورية، دمشق: (بدون)، ١٩٩٥ م ١ / ٤٥٩)

(لَا ورمـــــــــان النهـــــــــود فَـــــــوق أَغْصَـــــــان القـــــــدود)

وَقَول الصابى من أَبْيَات :

(وَقَـــالَ شـــفاؤه الرُّمَّـــان مِمَّـــا تضـــمنه حشـــاه مـــن الســـعير)

(فَقلـت لَـهُ اصـبت بِغَيْـر قصـد وَلَكِـــن ذَاك رمـــان الصُّـــدُور)[1]

وفي باب (بيوتات الشعر) يقول ابن رشيق : " الفرق بين المعرق وبين ذي البيت أن المعرق من تكرر الأمر فيه وفي أبيه وفي جده فصاعداً، ولا يكون مُعْرقاً حتى يكون الثالث فما فوقه، وعلى هذا فسر قول أبي الطيب :

العـارض الهـتن ابـن العـارض الهـتن ابـ ـن العـارض الهـتن ابـن العـارض الهـتن

قالوا : إنما أراد أنه معرق، وزاد واحداً على الشرط المتعارف، وإنما أخذه أبو الطيب من قول محمد بن عبد الملك الزيات :

مـــا كـــان ينـــذرنا ويـــؤمن ســـربنا ويجيرنـــا مـــن شـــر كـــل مخيفـــة

إلا مقـــــام خليفـــــة لخليفـــــة لخليفـــــة لخليفـــــة

يعني الواثق بن المعتصم بن الرشيد بن المهدي بن المنصور، فصدق وحسن في معناه، ونقص المتنبي بواحد بعد سرقته. [2]

ونظرة ابن رشيق هنا صائبة، وهي توافق ما رآه كثير من النقاد في قول المتنبي، يقول العلوي : فهذا من باب التكرير، ثم من الناس من صوبه في تكريره هذا، ومنهم من قال إنه قد أساء فيما أورده من ذلك، والأقرب أنه مجيد في مطلق التكرير كما حكيناه فيما أوردناه من آي التنزيل، فإن ما أورده من هذا التكرير دال على إغراق الممدوح في الكرم، لكن إنما عرض فيه ما عرض لمن أنكره، ورغم أنه غير محمود فيما جاء به من جهة أن لفظة العارض، ولفظة الهتن، ليستا واردتين على جهة البلاغة فيهما لقلة الاستعمال لهما " [3]

قال ابن الأثير : " وقد زعم قوم من مدعي هذه الصناعة أن أبا الطيب المتنبي أتى في هذا البيت بتكرير لا حاجة به إليه ... وليس في هذا البيت من تكرير، فإنه كقولك : "الموصوف بكذا وكذا

---

[1] ثمار القلوب في المضاف والمنسوب . عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (٤٢٩هـ) . دار المعارف – القاهرة ٣٣٩-٣٤٠

[2] العمدة ٢ / ٣٠٨ .

[3] الطراز ٢ /٩٦، ٩٧

ابن الموصوف بكذا وكذا"، أي : إنه عريق النسب في هذا الوصف.وقد ورد في الحديث النبوي مثل ذلك، كقول النبي صلى الله عليه وسلم في وصف يوسف الصديق عليه السلام : "الكريم ابن الكريم... يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم". [١]

بينما أساء ابن وكيع وتجنى في قوله : ولولا انتهاء القافية لمضى في العارض الهتن إلى آدم عليه السلام، وبانتهاء البيت أعلمنا أن نهاية عدد آبائه المستحقين للمدح ثلاثة ثم يقف هذا الأمر [٢]، لأن العبرة ليست بالعدد، لأن الوصف بالمفردة مما يتسع معه البيت، بخلاف المفردتين أو الثلاث .

٦ . ربط السرقات بقضايا النقد الأخرى :

من الحسنات التي تذكر لابن رشيق، محاولته ربط قضية السرقات بالعديد من القضايا النقدية التي تشاكلها، نتيجة حضور قضية السرقات في ذهنه، فقد تحدث عن السرقة في باب (الاشتراك والتغاير)، وباب الاختراع والتوليد، وباب التضمين والإجازة، وباب صنعة الشعر، وستأتي الاشارة إلى بعض من هذه القضايا في موضعها من البحث، وخير مثال على ذلك قول ابن رشيق في باب السرقات : " والإلمام : ضرب من النظر، وهو مثل قول أبي الشيص : أجد الملامة في هواك لذيذة وقول أبي الطيب : أأحبه وأحب فيه ملامة البيت، وقد تقدم ذكرهما في التغاير. [٣]

وفيما يلي توضيح لربط ابن رشيق قضية السرقات بكثير من القضايا النقدية :

١. التضمين والسرقة :

أما عن علاقة السرقة بالتضمين فقد تحدث عنها ابن رشيق في باب (التضمين والإجازة) حيث قال : " فأما التضمين فهو قصدك إلى البيت من الشعر أو القسيم فتأتي به في آخر شعرك أو في وسطه كالمتمثل، نحو قول محمود بن الحسين كشاجم الكاتب :

---

[١] المثل السائر ٣ / ٢١، ٢٢

[٢] المنصف صـ ٦٩٤

[٣] العمدة ٢ / ٢٨٧ . وبيت أبي الشيص :

أجد الملامة في هواك لذيذة حباً لذكرك؛ فليلمني اللوم

وبيت أبي الطيب :

أأحبه وأحب فيه ملامة؟ إن الملامة فيه من أعدائه

يا خاضب الشيب والأيام تظهره هذا شباب لعمر الله مصنوع

أذكرتني قول ذي لب وتجربة في مثله لك تأديب وتقريع

(إن الجديد إذا ما زيد في خَلَق تبين الناس أن الثوب مرقوع)

فهذا جيد في بابه، وأجود منه أن لو لم يكن بين البيت الأول والآخر واسطة؛ لأن الشاعر قد دل بذلك على أنه متهم بالسرق، أو على أن هذا البيت غير مشهور، وليس كذلك، بل هو كالشمس اشتهاراً، ولو أسقط البيت الأوسط لكان تضميناً عجيباً، لأن ذكر الثوب قد أخرج الثاني من باب الأول إلا في المعنى، وهذا عند الحذاق أفضل التضمين، فإنما احتذى كشاجم قول ابن المعتز في أبيات له :

ولا ذنب لي إن ساء ظنك بعدما وفيت لكم، ربي بذلك عالم

وها أنا ذا مستعتب متنصل كما قال عباس وأنفي راغم

"تحمل عظيم الذنب ممن تحبه وإن كنت مظلوماً فقل : أنا ظالم"

وأبيات العباس بن الأحنف التي منها البيت المضمن هي قوله : [1]

وصب أصاب الحب سوداء قلبه فأنحله، والحب داء ملازم

فقلت له إذ مات وجداً بحبه مقالة نصح جانبتها المآثم

تحمل عظيم الذنب ممن تحبه وإن كنت مظلوماً فقل : أنا ظالم

فإنك إن لم تحمل الذنب في الهوى يفارقك من تهوى وأنفك راغم

... فهذا النوع من التضمين جيد، وهو الذي أردنا من قبل؛ وأجود منه أن يصرف الشاعر المضمِّن وجه البيت المضمَّن عن معنى قائله إلى معناه، نحو قول بعض المحدثين، ونسبه قوم إلى ابن الرومي :

يا سائلي عن خالد، عهدي به رطب العجان وكفه كالجلمد

كالأقحوان غداة غب سمائه جفت أعاليه وأسفله ندي

هكذا أعرفه، وروى " عن جعفر " فصرف الشاعر قول النابغة في صفة الثغر :

---

[1] الأبيات في ديوان العباس بن الأحنف تحقيق عائشة خزرجي صـ ٢٤٣.

تجلـــو بقـــادمتي حمامـــة أيكـــةٍ بـــــرداً أســـــف لثاتـــــه بالإثمـــــد

كـــالأقحوان غـــداة غـــب ســـمائه جفـــــت أعإليـــــه وأســـــفله نـــــدي

إلى معناه الذي أراد. [١]

وقد أوهم قول ابن رشيق : " فإنما احتذى كشاجم قول ابن المعتز في أبيات له " أن البيت المضمن في قول كشاجم هو لابن المعتز، وليس كذلك لأن البيت الأخير في أبيات كشاجم هو لإبراهيم بن إسماعيل البنوي أو النسوي [٢]، وإنما يقصد ابن رشيق أن كشاجم نظر إلى صنيع ابن المعتز في أبيات العباس بن الأحنف .

ويبدو أن ابن رشيق كان لا يعترف بالتضمين فيما دون البيت، مما جعل هناك تداخلا بين مصطلح التضمين والسرقة في قوله في الاختراع والتوليد : " فمما أجاد فيه المتبع على المبتدع قول الشماخ :

إذا بلغتنـــــي وحملـــــت رحلـــــي عرابـــــة فاشـــــرقي بـــــدم الـــــوتين

فقال أبو نواس :

أقـــــول لنـــــاقتي إذ بلغتنـــــي قـــــد أصـــــبحت منـــــي بـــــاليمين

فلـــــم أجعلـــــك للغربـــــان نحـــــلاً ولا قلـــــت " اشـــــرقي بـــــدم الـــــوتين "

وإلا فقول أبي نواس (اشرقي بدم الوتين) هو من قول الشماخ السابق .

---

[١] السابق ٢ /٨٥، ٨٦

[٢] عيون الأخبار – أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (٢٧٦هـ) . دار الكتب العلمية –بيروت ١٤١٨ هـ، ٢ / ٢١٤)، وديوان المعاني ١ / ١٨٢

٢ . السرقة وصنعة الشعر :

يحمد لابن رشيق . أيضا . جمعه الجيد بين السرقات وصنعة الشعر في باب (عمل الشعر وشحذ القريحة) حيث قال : " وكانوا يقولون : ليكن الشعر تحت حكمك، ولا تكن تحت حكمه، ومنهم من إذا أخذ في صنعة الشعر كتب من القوافي ما يصلح لذلك الوزن الذي هو فيه، ثم أخذ مستعملها، وشريفها، ومساعد معانيه، وما وافقها، وأطَّرح ما سوى ذلك، إلا أنه لا بد أن يجمعها ليكرر فيها نظره، ويعيد عليها تخيره في حين العمل، هذا الذي عليه حذاق القوم.

ومن الشعراء من إذا جاءه البيت عفواً أثبته، ثم رجع إليه فنقحه، وصفاه من كدره، وذلك أسرع له، وأخف عليه، وأصح لنظره، وأرخى لباله.. وآخر لا يثبت البيت إلا بعد إحكامه في نفسه، وتثقيفه من جميع جهاته، وذلك أشرف للهمة، وأدل على القدرة، وأظهر للكلفة، وأبعد من السرقة " [١]

فابن رشيق يضع بين أيدينا طرق الشعراء أثناء كتابة الشعر، وهي طرق صادرة عن شاعر ممارس، يقفنا على خبرته الشعرية في ثنايا نقده، غير أننا نأخذ عليه تسرعه في الحكم، ذلك أنا نرى أن الطبع هو الذي ينافي السرقة، لأنه لا يسمح للشاعر بإعمال فكره، أما الصنعة فقد تملي على صاحبها شيئا من إعمال الفكر، ومحاولة ربط القرائن بعضها ببعض، وذلك أدعى للسرقة أو الأخذ، يدل على ذلك أن " الأعشى _وهو أحد الفحول الأربعة_ لما حبس وامتحن، اعتمد في هذه القصيدة على خاله أبي الفضة المسيب بن علس الضبعي، وهو أخو أمه، فمن قول المسيب [متقارب]:

---

[١] العمدة ١ / ٢١١ ويقارن ما قاله ابن رشيق بقول ابن طباطبا : فإذاَ أرَادَ الشَّاعِرُ بناءَ قَصيدةٍ مخَضَ المَعْنى الَّذِي يُرِيد بِنَاءَ الشِّعر عَلَيْهِ فِي فِكْرِهِ نَثْراً، وأعَدَّ لَهُ مَا يُلْبسُهُ إيَّاهُ من الْأَلْفَاظ الَّتِي تُطَابِقُهُ، والقوافي الَّتِي توافِقُهُ، والوَزْنِ الَّذِي سَلَسَ لَهُ القَوْلُ عَلَيْهِ، فَإذا اتَّفَقَ لَهُ بيتٌ يُشَاكِلُ المَعْنَى الَّذِي يرومُهُ أثْبَتَهُ وأعْمَلَ فِكْرَهُ فِي شُغْل القوافي بِمَا تَقْتَضِيهِ من الْمعَانِي على غير تَنْسِقٍ للشِّعر وتَرْتيبٍ لفُنونِ القَوْلِ فِيهِ بل يُعَلِّقُ كلَّ بيتٍ يَتَّفِقُ لَهُ نَظْمُهُ على تَفَاوُتِ مَا بَيْنَهُ وبَيْنَ مَا قبلَهُ، فَإذا كَمُلَتْ لَهُ المَعَاني، وكَثُرت الأبياتُ، وَفّقَ بَينهَا بأبياتٍ تكونُ نظاماً لَهَا، وسِلْكاً جَامعا لما تشَتَّتِ مِنْهَا. ثمَّ يتأمَّلُ مَا قد أدَّاه إلَيْهِ طَبْعُهُ، ونَتَجَتْهُ فِكْرَتُهُ فَيَسْتَقْصِي انتقادَهُ، ويَرُمُّ مَا وَهَى منهُ، وَيُبْدِلُ بكُلِّ لَفْظَةٍ مُسْتكرهَةٍ لَفْظَةً سَهْلةً نَقِيَّةً.

وإن اتَّفَقَتْ لَهُ قافيةٌ قد شَغَلَهَا فِي مَعْنىً من الْمعَانِي واتَّفَقَ لَهُ مَعْنًى آخر مُضَادٌ للمعنى الأوَّل، وكانَت تَلك القَافيةٌ أوْقَعَ فِي المَعْنى الثَّاني مِنْهَا فِي المَعْنى الأوَّل نَقَلها إلَى المَعْنى الْمُخْتَار، الَّذِي هُوَ أحسَنُ، وأبْطَلَ ذَلِك البَيْت، أَو نَقَضَ بعضَهُ وطَلَبَ لمعنَاهُ قافيةً تُشَاكِلُهُ ويَكون كالنَّسَّاج الحاذِق الَّذِي يُفَوِّفُ وَشْيَهُ بأحسَنِ التَّفْوِيف ويُسَدِّيه ويُنيرُهُ، وَلَا يُهَلْهِلُ شَيْئا منهُ فَيَشِينهُ. عيار الشعر – ابن طبا طبا صـ ٧، ٨

أعـــاذل لمـــا تـــرين الغـــداة وقنعنـــي الشـــيب منـــه خمـــارا
وبـــان الشبـــاب فودعتـــه وطالبتـــه بعـــد عـــين ضـــمارا
ببيـــداء مجهولـــة قطعـــت بعامهـــة تســـتخف الضفـــارا
ترامـــي النســـوع بحيزومهـــا نـــدوباً، وبالـــدف منهـــا ســـطارا
جمالـــية أجـــد سهـــوة يلاحـــم منهـــا الثليـــل الفقـــارا

فقال الأعشى في قصيدته التي مر بنا ذكرها:

تبـــدل بعـــد الصبـــا حكـــمة وقنعـــه الشـــيب منـــه خمـــارا
وشـــوق علـــوق تناسيتـــه بجوالـــة تســـتخف الضفـــارا
فـــأبقى رواحـــي وســـير الغـــد وِ، منهـــا مراحـــاً وقلبـــاً مطـــارا
وألـــواح رهـــب كـــأن النســـو ع أثبـــتن فـــي الـــدف منهـــا ســـطارا
ودأيـــا عـــواري مثـــل الفـــؤو س، لاحـــم فيهـــا الســـليل الفقـــارا

ألا ترى إلى ضيق الأمر عليه؟ حين حبس، حتى اعتمد هذا الاعتماد البين الذي لا يكون موارِدة ولا اتفاقاً في القول، مع قرب الآخذ من المأخوذ منه؟! " [١]

٧ . نقد النقد :

يظهر نقد ابن رشيق النقاد السابقين في مشكلة السرقات مدى ميل ابن رشيق إلى إنصاف الشاعر الآخذ، من خلال استنكار نقد الناقد له، وذلك يبدو في نقده ما قال به الحاتمي وابن وكيع والجمحي، ولم يقف به الأمر عند هذا الحد، وإنما خص ابن رشيق هذا الثلاثي بمزيد من النقد في أبواب كتابه، على النحو الذي يعكسه البيان التالي :

ا . نقد الحاتمي :

عندما أراد ابن رشيق تحديد أنواع السرقات عاد إلى الحاتمي في " حلية المحاضرة " وأفاد من مصطلحاته وأمثلته، على الرغم من أنه قال في صدر باب السرقات وما شاكلها : " وقد أتى الحاتمي في حلية المحاضرة بألقاب محدثة، تدبرتها ليس لها محصول إذا حققت : كالاصطراف،

[١] حلية المحاضرة ٢ / ٢٩، ٣٠ .

والاجتلاب، والانتحال، والاهتدام، والإغارة، والمرافدة، والاستلحاق، وكلها قريب، وقد استعمل بعضها في مكان بعض، غير أني ذاكرها على ما خيلت فيما بعد " [1]

وهو كلام غريب من ابن رشيق، إذ كيف ينتقد الحاتمي وقد سار على نهجه في ترتيب المصطلحات في قضية السرقات، اللهم إلا في مواطن يسيرة .

ولم يقف الأمر عند هذا الحد، فقد انتقد ابن رشيق الحاتمي في أماكن أخرى من كتابه، اتهمه فيها بسوء الرواية والتعسف والتحيز، فقد اتهمه بسوء الرواية في قوله في باب (الشعراء والشعر) : " وزعم الحاتمي أن النابغة سئل : من أشعر الناس؟ فقال : من استُجيد جيده، وأضحك رديئه، وهذا كلام يستحيل مثله عن النابغة ؛ لأنه إذا أضحك رديئه كان من سفلة الشعراء، إلا أن يكون ذلك في الهجاء خاصة، وقال الحطيئة :

الشعر صعب وطويل سلمه والشعر لا يسطيعه من يظلمه

إذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه زلت به إلى الحضيض قدمه

يريد أن يعربه فيعجمه

وإنما سمي الشاعر شاعراً؛ لأنه يشعر بما لا يشعر به غيره، فإذا لم يكن عند الشاعر توليدُ معنى ولا اختراعه، أو استظراف لفظ وابتداعه، أو زيادة فيما أجحف فيه غيره من المعاني، أو نقص مما أطاله سواه من الألفاظ، أو صرف معنى إلى وجه عن وجه آخر؛ كان اسم الشاعر عليه مجازاً لا حقيقة، ولم يكن له إلا فضل الوزن، وليس بفضل عندي مع التقصير.." [2]

وهذا كلام جيد يردد فيه ابن رشيق فكرة التوليد التي اقتنع بها، ووضع لها الأطر والضوابط، ويؤكد عليها في آن .

كما اتهم ابن رشيق الحاتمي مرة أخرى في باب (المثل السائر) برواية أشياء لا وجه لها في الأدب في قوله : " وقد حكى الحاتمي أشياء لا أدري كيف وجهها، وزعم أن حماداً الراوية سئل : بأي شيء فضل النابغة؟ فقال : إن النابغة إن تمثلت ببيت من شعره اكتفيت به، مثل قوله :

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مذهب

بل لو تمثلت بنصف بيت من شعره اكتفيت به، وهو قوله ليس وراء الله للمرء مذهب بل لو تمثلت بربع بيت من شعره اكتفيت به، وهو قوله أي الرجال المهذب؟

---

[1] السابق ٢ / ٢٨٠ .

[2] العمدة ١ / ١١٥، ١١٦.

ولا أعرف كيف يجعل حماد هذا ربع بيت وفيه زيادة سببين وهما أربعة أحرف؟ إلا أن يريد التقريب، فهذا من الاحتياج الذي ذكرته؛ لأنه لا يتمثل به على أنه شعر إلا احتاج إلى ما قبله واستغنى ما قبله عنه، ألا ترى أنه لو قال ولست بمستبق أخاً لا تلمه أنه يكون مثلاً كافياً، ثم لا يتعلق قوله على شعث بشيء من المثل الثاني وإن بقي موزوناً، فإذا رده على الصدر تعلق به وبقي المثل الثاني مكسوراً. [١]

وفي باب (الحشو وفضول الكلام) يقول ابن رشيق : " وعاب الحاتمي على الأعشى قوله :

فرميت غفلة قلبه عن شاته فأصبت حبة قلبها وطحالها

لأن تكرير القلب عنده حشو لا فائدة فيه، وهذا تعسف من الحاتمي لأن قلبه غير قلبها، فإنما كرر اللفظ دون المعنى، ورأيت روايته في أكثر النسخ " حبة قلبه وطحالها " وهو غلط، ومن ههنا عابه فيما أظن، ومن الناس من روى " فرميت غفلة عينه عن شاته " وهي رواية مشهورة صحيحة. [٢]

كما اتهمه ابن رشيق في باب (المبدأ والخروج) بالتحيز ضد البحتري في قوله : " فأما الحاتمي فإنه يغض من أبي عبادة غضاً شديداً، ويجور عليه جوراً بيناً لا يقبل منه ولا يسلم إليه. [٣]

ب . نقد ابن وكيع :

انتقد ابن رشيق الحسن بن علي الضبي التنيسي المعروف بابن وكيع، في أكثر من موضع من كتابه، ففي باب (السرقات وما شاكلها) يقول ابن رشيق : " وأما ابن وكيع فقد قدم في صدر كتابه على أبي الطيب مقدمة لا يصح لأحد معها شعر إلا الصدر الأول إن سلم ذلك لهم، وسماه كتاب المنصف مثل ما سمي اللديغ سليما، وما أبعد الإنصاف منه " [٤]

وهذا النقد جيد في بابه، حيث قال به كثير من النقاد، من ذلك قول يوسف البديعي الدمشقي : " قال علي بن منصور الحلبي المعروف بابن القارح : كان أبو محمد بن وكيع متأدباً ظريفاً، ويقول الشعر، وعمل كتاباً في سرقات المتنبي، وحاف عليه كثيراً "[٥]

---

[١] السابق ١ / ٢٨٢ .

[٢] السابق ٢ / ٧١-٧٢.

[٣] السابق ١ / ٢٣٣

[٤] العمدة ٢ / ٢٨١ .

[٥] الصبح المنبي عن حيثية المتنبي . يوسف البديعي الدمشقي (١٠٧٣هـ) (مطبوع بهامش شرح العكبري) . المطبعة العامرة الشرفية . الأولى، ١٣٠٨ هـ ١ / ٤١٦

كما اتهمه ابن رشيق في الباب ذاته بالغفلة في قوله : " والعكس (جعل مكان كل كلمة ضدها) قول ابن أبي قيس[١]، ويروى لأبي حفص البصري :

ذهب الزمان برهط حسان الألى كانت مناقبهم حديث الغابر

وبقيت في خَلْف يحل ضيوفهم منهم بمنزلة اللئيم الغادر

سود الوجوه لئيمة أحسابهم فطس الأنوف من الطراز الآخر

وقد عاب ابن وكيع هذا النوع بقلة تمييز منه أو غفلة عظيمة " [٢]

ولست أدري على أي أساس بنى ابن رشيق حكمه على ابن وكيع هنا، فنص ابن وكيع في كتابه يخالف ما اتهمه به ابن رشيق، وفيه يقول ابن وكيع : " القسم الرابع :عكس ما يصير بالعكس هجاء بعد أن كان ثناءً كقول حسان بن ثابت :

بيضُ الوُجوه، كَريمةٌ أحسابهم شمُ الأنوفِ مِنْ الطرازِ الأَول

عكسه ابن أبي فنن فقال :

ذَهَبَ الزمانُ بِرَهْطِ حَسّان الأُولى كانَتْ مَناقِبهمْ حَديثُ الغابرِ

وَبقيتُ في خَلِفٍ تحلُّ ضيوفُهمْ فِيهمْ بمنزلةِ اللئيم الغادرِ

سُودُ الوجوهِ لئيمةٌ أحسَابِهمْ فُطَسْ الأُنوفِ مِن الطرازِ الآخرِ

وهذا مثال كاف " [٣]

كما اتهم ابن رشيق شعر ابن وكيع في باب (في الرجز والقصيد) بضعف النظم لمجرد ركوبه المخمسات والمسمطات [٤] في قوله : " وقد رأيت جماعة يركبون المخمسات والمسمطات ويكثرون منها، ولم أر متقدماً حاذقاً صنع شيئاً منها؛ لأنها دالة على عجز الشاعر، وقلة قوافيه، وضيق عطنه، ما خلا امرأ القيس في القصيدة التي نسبت إليه وما أصحها له، وبشار بن برد، قد كان يصنع المخمسات والمزدوجات عبثاً

---

[١] كذا في طبعة محي الدين وصوابه كما في طبعة د. النبوي شعلان(ابن أبي فنن).

[٢] العمدة ٢ / ٢٨٩ .

[٣] المنصف صـ ١٢٤، ١٢٥ بتصرف يسير .

[٤] أرى أن تطويل القصيدة بالتشطير والتخميس معيب في نظري، ذلك أن الزيادة في الأبيات مع الاحتفاظ بأصل وضعها يوحي بإطناب معيب، لأنه يترتب عليه إعادة الشيء بلفظه أو بمعناه دون كبير فائدة اللهم إلا التصريح بما جرى في عادة الشعر أن يحذف، ويظهر ذلك في التخميس خاصة .

واستهانة بالشعر، وبشر بن المعتمر؛ فقد أنشد الجاحظ له أول مزدوجة، وصنع ابن المعتز قصيدة في ذم الصبوح، وقصيدة في سيرة المعتضد ركب فيها هذا الطريق؛ لما تقتضيه الألفاظ المختلفة الضرورية، ولمراده من التوسع في الكلام، والتملح بأنواع السجع.وهذا الجنس موقوف على ابن وكيع والأمير تميم بن المعز، ومن ناسب طبعهما من أهل الفراغ وأصحاب الرخص، وقد يقع لبعض الشعراء البيتان والثلاثة لها قافية واحدة يجعلونها معاياة فيتلاقفها العروضيون، كالأبيات التي تروى لابن دريد " [١]

ج . نقد الجمحي (محمد بن سلام ٢٣٢هـ)

انتقد ابن رشيق محمد بن سلام الجمحي في باب (السرقات) فيما يأتي في شعر الشاعر على سبيل المثل، حيث جعله ابن سلام من الانتحال، ربما لأن النقد لم يكن وقتها يستسيغ وجود بيت لشاعر في شعر آخر إلا إذا كان سرقة، يقول ابن رشيق " وأما الجمحي فقال : من السرقات ما يأتي على سبيل المثل ليس اجتلاباً، مثل قول أبي الصلت بن أبي ربيعة الثقفي :

تلك المكارم لا قعبان من لبن شيباً بماء فعاد بعد أبوالا.

ثم قاله بعينه النابغة الجعدي لما أتى موضعه، فبنو عامر ترويه للجعدى، والرواة مجمعون أنه لأبي الصلت ؛ فقد ذهب الجمحي في الإجتلاب مذهب جرير أنه انتحال ولم أر محدثاً غيره يقول هذا القول " [٢]

ولا أدري كيف سوى ابن رشيق بين ابن سلام وجرير، رغم أن مقارنة صدر كلامه بعجز هذا الكلام تبين أنه ميز بين أمرين: اجتلاب بيت على سبيل المثل ، وهذا لا يعد سرقة ، واجتلاب على غير هذه السبيل ، وهذا عنده انتحال وسرقة

كما انتقده ابن رشيق مرة أخرى في باب (في القدماء والمحدثين) حيث يقول : " وقال غيره : أول من طول الرجز الأغلب العجلي، وهو قديم، وزعم الجمحي وغيره أنه أول من رجز، ولا أظن ذلك صحيحاً؛ لأنه إنما كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونحن نجد الرجز أقدم من ذلك"[٣]

كما انتقده ابن رشيق مرة أخرى في باب (في الأوزان) حيث يقول : " وزعم الجمحي أن الإقعاد لا يجوز لمولد، وقد أتى به البحتري في عروض الخفيف فقال يهجو شاعراً :

ليس ينفك هاجياً مضروباً ألف حد ومادحاً مصفوعاً

قياساً على قول الحارث بن حلزة اليشكري :

---

[١] العمدة ١ / ١٨٢

[٢] السابق ٢ / ٢٨٣ .

[٣] السابق ١ / ٩٠

أســـــد فـــــي اللقـــــاء ذو أشـــــبال وربيـــــــع إن شـــــــنعت غبـــــــراء

وابن قتيبة يسمى هذا الزحاف إقواء . [1]

والملاحظ أن اختلاف النقاد في تسمية (الإقعاد) كانت ترجع إلى اعتبارات مختلفة، فمن نظر إلى اختلاف شطري المطلع في التقفية رأى أن يسميه بـ (الإقواء) ملاحظة للمعنى اللغوي للإقواء، ففي القاموس المحيط " وحبْلٌ قَوٍ مُخْتَلِفُ القُوى ... والحَبْلَ جَعلَ بَعْضَه أغْلَظَ من بَعْضٍ، والشِّعْرَ خَالَفَ قَوَافِيَهُ بِرَفْعِ بَيْتٍ وجَرِّ آخَرَ " [2]، ومن نظر إلى اختلاف العروض والضرب في مطلع البيت من الكامل (متفاعلن) . سماه بـ (القطع)، لأن التفعيلة تحول به إلى (متفاعل)، ومن نظر إلى اجتماع العيبين عروضا وقافية سماه بـ (المقعد) تشبيها له بالمُقعد الذي لا يستطيع الحركة .

---

[1] السابق ١ / ١٤٤

[2] القاموس المحيط . مجد الدين الفيروزآبادي – دار الحديث .(قوة)

المبحث الثاني

مصطلحات السرقة في كتاب العمدة

لم يكن كتاب العمدة هو الكتاب الوحيد الذي عالج فيه ابن رشيق مشكلة السرقات الشعرية، وإنما وجدناه يفرد مؤلفا يعنى فيه بتطبيق ما قرره في العمدة من تنظير، وهو كتاب (قراضة الذهب)، وقد حشد ابن رشيق في كتابه (العمدة) عديدا من المصطلحات النقدية التي يمكن أن تمثل صورا جيدة للسرقات الشعرية، على الرغم من أخذه على الحاتمي كثرة هذه الألفاظ وتداخلها واختلاطها . [١]

ولا شك أن لابن رشيق فضل تقعيد بعض المصطلحات التي فهمها فيما نقل من كلام الحاتمي معرفا بها مرة في صدر الباب، وشارحا لها في موضعها منه، على النحو الذي يبدو من قوله : " والاصطراف : أن يعجب الشاعر ببيت من الشعر فيصرفه إلى نفسه، فإن صرفه إليه على جهة المثل فهو اجتلاب واستلحاق، وإن ادعاه جملة فهو انتحال، ولا يقال منتحل إلا لمن ادعى شعراً لغيره وهو يقول الشعر، وأما إن كان لا يقول الشعر فهو مدع غير منتحل، وإن كان الشعر لشاعر حي أخذ منه غلبة فتلك الإغارة والغصب، وبينهما فرق أذكره في موضعه إن شاء الله تعالى، فإن أخذه هبة فتلك المرافدة، ويقال : الاسترفاد، فإن كانت السرقة فيما دون البيت فذلك هو الاهتدام، ويسمى أيضاً النسخ، فإن تساوى المعنيان دون اللفظ وخفي الأخذ فذلك النظر والملاحظة، وكذلك إن تضادا ودل أحدهما على الآخر، ومنهم من يجعل هذا الإلمام، فإن حول المعنى من نسيب إلى مديح فذلك الاختلاس، ويسمى أيضاً نقل المعنى، فإن أخذ بنية الكلام فقط فتلك الموازنة، فإن جعل مكان كل لفظة ضدها فذلك هو العكس، فان صح أن الشاعر لم يسمع بقول الآخر وكانا في عصر واحد فتلك المواردة، وإن ألف البيت من أبيات قد ركب بعضها من بعض فذلك هو الالتقاط والتلفيق، وبعضهم يسميه الاجتذاب والتركيب، ومن هذا الباب كشف المعنى والمجدود من الشعر، وسوء الاتباع، وتقصير الآخذ عن المأخوذ منه، وسأورد عليك مما رويته أو تأدى إلى فهمه لكل واحد من هذه الألقاب مثالا يعرفه العالم، ويقتدي به المتعلم، إن شاء الله تعالى"[٢]

---

[١] يقول الدكتور هدارة إن هذه المصطلحات التي استخدمها ابن رشيق " نجدها مجتمعة عنده لأول مرة، إذ أغلب هذه المصطلحات قد مر بنا في كتابات النقاد المتقدمين، وإن كان أحد منهم لم يحدد لنا معانيها كما فعل ابن رشيق، ويبدو أن هذه المصطلحات قد ثبتت في عصر ابن رشيق، ولم تعد قابلة للتغيير أو التعديل، لأن كل البلاغيين الذين أتوا بعد ذلك قد استخدموها كما هي مثبتة في العمدة " مشكلة السرقات صـ ١٠١

[٢] العمدة ٢ / ٢٨١، ٢٨٢ .

وهذه التقسيمات التي سردها ابن رشيق يرى الدكتور محمد مندور أنها لم تتقدم بقضية السرقات ولو خطوة إلى الأمام حيث قال : " ويورد ابن رشيق أمثلة لكل ذلك، يستطيع القارىء أن يجدها في كتابه، وأما نحن فلا نرى أية فائدة في التمهل عندها، لأنها لم تبصر بجديد، وإنما هي تقسيمات تتمحل للمباديء التي سبق أن أوضحناها، وهي أشبه ما تكون بأوجه البديع الخمسة والثلاثين التي أوردها العسكري، كما أنها صادرة عن نفس الروح " [1]

وهناك من ذهب إلى أبعد من ذلك حين ادعى أن ابن رشيق لم يكن له بالباب كله رأي ذاتي أو تمثيل جديد، على النحو الذي يبدو في قول الدكتور إحسان عباس : " ففي هذا الباب اعتمد ابن رشيق على (حلية المحاضرة) للحاتمي في تبيان أنواع السرقة، وشرحها كما شرحها الحاتمي وجاء بأمثلته وان انتقد مصطلحاته بأنها " ليس لها محصول إذا حققت " ... وليس لابن رشيق في الباب كله رأي ذاتي أو تمثيل جديد. والظن قوي بأن ابن رشيق لم يعر مبحث السرقات اهتماماً، لإيمانه بأن السرقة قد أصبحت قاعدة عامة في الحياة الشعرية لعصره، فلما اتهم بأنه في قوله.

إذا ضـــربت فيـــه الطبـــول تتابعـــا بـــه عـــذب يحكـــي ارتعـــاد الأصـــابع

تجـــاوب نـــوح بـــات بنـــدب شـــجوه وأيـــدي ثكـــإلى فوجئـــت بـــالفواجع

سرق المعنى من قول عبد الكريم بن إبراهيم النهشلي :

قـــد صـــاغ فيـــه الغمـــام أدمعـــه دراً ورواه جـــــــــدول غمـــــــــر

تجـــيش فيـــه كأنمـــا رعشـــت إليـــك منـــه أنامـــل عشـــر

كتب رسالته " قراضة الذهب " إلى أبي الحسن علي بن القاسم اللواتي، ليحدد. المقصود بالسرقة في الشعر، وليبين أن اشتراكه مع عبد الكريم في ذكر ارتعاد الأصابع او ارتعاشها لا يعد سرقاً؛ ولهذا ذهب يستشهد بتكرر هذه الصورة في الشعر منذ امرئ القيس " كلمع اليدين في حبي مكلل " حتى عصره هو : " ولما كثر هذه الكثرة وتصرف الناس فيه هذا التصرف لم يسم آخذه سارقاً، لأن المعنى يكون قليلاً فينحصر ويدعى صاحبه سارقاً مبتدعاً، فإذا شاع وتداولته الألسن بعضها من

[1] النقد المنهجي عند العرب صـ ٣٦٩

بعض، تساوي فيه الشعراء إلا المجيد، فإن له فضله، أو المقصر، فإن عليه درك تقصيره، إلا أن يزيد فيه شاعر زيادة بارعة مستحسنة يستوجبه بها ويستحقه على مبتدعه ومخترعه "[١]

نذكر هذه المقدمة عن طبيعة الآراء النقدية التي تناولت جهد ابن رشيق، لنبين إلى أي مدى يمكن أن نقبل ما قال به الدكتور إحسان عباس من كون ابن رشيق لم يكن له رأي ذاتي أو تمثيل جديد، ولم يعر مبحث السرقات اهتماما، وإلى أي مدى تصل أهمية اصطحاب كتاب الحاتمي (حلية المحاضرة) ونحن ندرس السرقات في كتاب العمدة، لأن بين الكتابين في هذا الباب كبير شبه، واعتماد الثاني على الأول لا يلقي باللائمة على الثاني بالقدر الذي لا ينسب فيه الفضل جميعه للأول ، فدائما ما كان ابن رشيق يتخير مثالا أو مثالين من الأمثلة التي سردها الحاتمي، وهذا المثال غالبا ما يكون الثاني أو الثالث مما ذكره الحاتمي، عدا ما قال به في باب الالتقاط والتلفيق، لكن ابن رشيق كان يضيف إليه كثيرا من الأمثلة والتوضيحات .

والملاحظ بداية أن ابن رشيق لم يعط تصورا جديدا لمعالجة فكرة السرقات، كتصنيفها بحسب الجودة أو القبح، أو دخولها في باب السرقات أو عدم دخولها، أو سرقات اللفظ وسرقات المعنى . وإنما هجم ابن رشيق على القضية كما عنّ له الأمر، محاولا التجديد حينا وواقعا في أسر النصوص المنقولة عن غيره أحيانا أخرى .

ويمكننا أن نقسم المصطلحات التي وردت في باب السرقات في كتاب العمدة تقسيما جديدا، يظهر من خلاله جهد ابن رشيق، ومدى إضافته إلى هذا الباب، وهذا التقسيم يجعل باب السرقات في كتاب العمدة ثلاثة أقسام :

القسم الأول : مصطلحات لم يظهر فيها جهد ابن رشيق، حيث توقف جهده فيها عند نقلها ممن سبقه دون أن يتصرف فيما نقل، سواء بالتدخل المباشر، أو إضافة أمثلة أو تعريف أو نحو ذلك، ويبدو ذلك في حديثه عن مصطلحات (الاهتدام، الاختلاس، الموازنة، العكس، الالتقاط والتلفيق)[٢]، على النحو الذي يعكسه البيان التالي :

١ . الاهتدام : [٣]

---

[١] تاريخ النقد الأدبي عند العرب صـ ٤٥٦، ٤٥٧، وينظر : قراضة الذهب صـ ١٩ . والحبي: السّحاب المشرف، مكلّل بعضه على بعض.

[٢] أرى أن الحاجة ماسة إلى وجود قرينة جيدة عند القول بالسرقة في باب الاختلاس والالتقاط .

[٣] الاهتدام – بوزن افتعال من الهدم – وهو أن يأخذ شاعر بيتاً لآخر فيغير فيه تغييراً جزئياً ينظر : تاريخ النقد الأدبي عند العرب ص ٢٥٩

أما في الاهتدام فابن رشيق لا يعدو تعريف الحاتمي للمصطلح بأنه يعني السرقة فيما دون البيت، وإن لم يأخذ المثال من الحاتمي، حيث يقول : " والاهتدام نحو قول النجاشي :

وكنت كذي رجلين رجل صحيحة ورجل رمت فيها يد الحدثان

فأخذ كثير القسم الأول واهتدم باقي البيت فجاء بالمعنى في غير اللفظ، فقال : ورجل رمى فيها الزمان فشلت " [1]

٢ . الاختلاس : [2]

يقول ابن رشيق : " وأما الاختلاس (وهو تحويل الغرض أو نقل المعنى) فنحو قول أبي نواس :

ملك تصور في القلوب مثاله فكأنه لم يخل منه مكان

اختلسه من قول كثير :

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثل لي ليلى بكل سبيل

وقول عبد الله بن مصعب :

كأنك كنت محتكماً عليهم تخير في الأبوة ما تشاء

ويروى كأنك جئت محتكماً عليهم اختلسه من قول أبي نواس :[المديد]

خليت والحسن تأخذه تنتقي منه وتنتخب

فاكتست منه طرائفه ثم زادت فضل ما تهب

أردت البيت الأول.ومن هذا النوع قول امرئ القيس :

إذا ما ركبنا قال ولدان حيّنا تعالوا إلى أن يأتنا الصيد نحطب

نقله ابن مقبل إلى القدح فقال :

---

[1] العمدة ٢ / ٢٨٧ ، وبيت كثير ذكره الحاتمي في الإغارة على أنه مسروق بتمامه من أمية بن الأسكر . ينظر: حلية المحاضرة ٢/٤٠، والعمدة بتحقيق د. النبوي شعلان ٢/١٠٨٣هـ٢.

[2] لم أقف عليه عند الحاتمي، وإنما أفاده ابن رشيق من علي بن عبد العزيز الجرجاني . ينظر : الوساطة ٢٠٤،٢٠٥.

إذا امتحنتـــه مـــن معـــد عصـــابة غـــدا ربّـــة قبـــل الإفاضـــة يقـــدح

نقله ابن المعتز إلى البازي فقال :

قَـــدْ وَثَـــقِ الْقَـــوْمُ لَـــهُ بِمـــا طَلَـــبْ

فَهْـــوَ إذا عُـــرِّيَ لِصْـــيدٍ واضْـــطَرَبْ

عَـــرَّوْا سَـــكاكِيَنُهُم مِـــنَ الْقُـــرُبْ

نقلته أنا إلى قوس البندق فقلت : [١]

طيـــر أبابيـــل جاءتنـــا فمـــا برحـــت إلا وأقواســـــنا الطيـــــر الأبابيـــــل

تـــرميهم بحصـــى طيـــر مســـمومة كـــأن معـــدنها للرمـــي ســـجيل

تعـــدو علـــى ثقـــة منـــا بأطيبهـــا فالنـــار تقـــدح والطنجيـــر مغســـول

وقد جمع كثير من النقاد بين بيتي أبي نواس وكثير [٢]، بينما أشار الميمني إلى اختلاس ابن المعتز، في حين لم يضف ابن رشيق إلا أبياته هو .

٣ . الموازنة : [٣]

يقول ابن رشيق : " والموازنة [أخذ بنية الكلام فقط] مثل قول كثير :

---

[١] العمدة ٢ /٢٨٧، ٢٨٨ . وينظر : سمط اللآلي في شرح أمالي القالي: أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (٤٨٧هـ) . نسخه وصححه وحقق ما فيه وخرجه وأضاف إليه عبد العزيز الميمني . دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ١ / ٦٧ وقوس البندق من آلات الصيد، ويسمّى الجلاهق، وهو قوس يتّخذ من القنا ويلّف عليه الحرير ويغرّى؛ وفي وسط وتره قطعة دائرة تسمّى الجوزة توضع فيها البندقة عند الرّمي. ينظر : صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ٢ / ١٥٤

[٢] الوساطه بين المتنبي وخصومه صـ ٢٠٥ حماسة الخالديين (الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهليين والمخضرمين) . الخالديان أبو بكر محمد بن هاشم الخالدي، (نحو ٣٨٠هـ)، و أبو عثمان سعيد بن هاشم الخالدي (٣٧١هـ . تحقيق: د . محمد علي دقة : وزارة الثقافة، الجمهورية العربية السورية ١٩٩٥م صـ ٧٧)

[٣] لم أقف عليه عند الحاتمي أو غيره

تقـــول مرضـــنا فمـــا عـــدتنا وكيـــف يعـــود مـــريض مريضـــا

وازن في القسم الآخر قول نابغة بني تغلب : [١]

بخلنـــا لبخلـــك قـــد تعلمـــين وكيـــف يعيـــب بخـــيلاً بخـــيلا

٤ . العكس : [٢]

والعكس (جعل مكان كل كلمة ضدها)قول ابن أبي فنن، ويروى لأبي حفص البصري :

ذهـب الزمـان بـرهط حسـان الألـى كانـــت منـــاقبهم حـــديث الغـــابر

وبقيـت فـي خلـف يحـل ضـيوفهم مـــنهم بمنزلـــة اللئـــيم الغـــادر

ســـود الوجـــوه لئيمـــة أحســـابهم فطـــس الأنـــوف مـــن الطـــراز الآخـــر

وقد عاب ابن وكيع هذا النوع بقلة تمييز منه أو غفلة عظيمة. [٣]

يقصد ابن رشيق أنه عكس أبيات حسان التي يقول فيها : [٤]

أولاد جفنـــة حـــول قبـــر أبـــيهم قبـــر ابـــن ماريـــة الكـــريم المفضـــل

يغشـــون حتـــى مـــا تهـــر كلابهـــم لا يســـألون عـــن الســـواد المقبـــل

بـــيض الوجـــوه كريمـــة أحســـابهم شـــم الأنـــوف مـــن الطـــراز الأول

وقد سمى أسامة بن منقذ هذا اللون اهتداما [٥]، كما أشار إليه أبو هلال العسكري وسماه قلبا [٦]

---

[١] العمدة ٢ / ٢٨٨، ٢٨٩ .

[٢] لم أقف عليه عند الحاتمي، ولعله التقطه من ابن وكيع .

[٣] العمدة ٢ / ٢٨٩ .

[٤] ديوان حسان بن ثابت . تحقيق د . وليد عرفات . دار صادر . بيروت ٢٠٠٦م ١ / ٧٤

[٥] البديع في نقد الشعر . أبو المظفر مؤيد الدولة مجد الدين أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني الكلبي الشيزري (٥٨٤هـ)، تحقيق: الدكتور أحمد أحمد بدوي، الدكتور حامد عبد المجيد، مراجعة الأستاذ إبراهيم مصطفى الناشر: الجمهورية العربية المتحدة – وزارة الثقافة والإرشاد القومي – الإقليم الجنوبي – الإدارة العامة للثقافة ١ / ١٩١

[٦] ديوان المعاني ١ / ٣٧

٥ . الالتقاط والتلفيق : [١]

أما الالتقاط والتلفيق فقد عنى بهما ابن رشيق تأليف البيت من أبيات أخرى، وقد اعتمد في تعريفه ومثاله على ما عند الحاتمي[٢]، يقول ابن رشيق " وأما الالتقاط والتلفيق فمثل قول يزيد بن الطثرية :

إذا ما رآني مقبلاً غض طرفه كأن شعاع الشمس دوني يقابله

فأوله من قول جميل :

إذا ما رأوني طالعاً من ثنية يقولون : من هذا؟ وقد عرفوني

ووسطه من قول جرير :

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلابا

وعجزه من قول عنترة الطائي : [٣]

إذا أبصرتني أعرضت عني كأن الشمس من حولي تدور

قال أسامة بن منقذ : " اعلم أن الالتقاط هو ما يتطارحه العلماء والشعراء والكتاب بينهم، وهو أن يطرح بيت ويولد من كل كلمة منه بيت، أو من كلمتين، أو ثلاثة أو غير ذلك [٤] وذكر بيت يزيد بن الطثرية السابق .

---

[١] الالتقاط هو ما يتطارحه العلماء والشعراء والكتاب بينهم، وهو أن يطرح بيت ويولد من كل كلمة منه بيت، أو من كلمتين، أو ثلاثة أو غير ذلك، مثل ما ذكر في كتاب الصناعتين التلفيق والالتقاط، وهو أن يكون البيت ملفقاً من أبيات قبله، البديع في نقد الشعر ١ / ٢٠١ وقرنه بعضهم بالإضافة حيث قال : " وهو أن يأخُذَ المستفيدُ بعض المعنى الذي سبَقَ إليه غَيْرُه ويُضيف إليه زيادة حَسَنة . البلاغة العربية: عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (١٤٢٥هـ) . دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت: الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م ٢ / ٥٥٦، ٥٥٧ .

[٢] حلية المحاضرة ٢/ ٩٠-٩١.

[٣] العمدة ٢ / ٢٨٩، ٢٩٠ .

[٤] البديع في نقد الشعر ١ / ٢٠١ وقصر أبو عبيد البكري حين لم يلتفت إلا لقول عنترة حيث قال : وقال عنترة فأحسن:

إذا أبصرتني أعرضت عني كأن الشمس من حولي تدور

أخذه ابن الطثريّة فقال:

إذا ما رآني مقبلاً غض طرفه كأن شعاع الشمس دوني مقابله

سمط اللآلي في شرح أمالي القالي ١ / ٤٥٢

القسم الثاني : مصطلحات نقلها ابن رشيق ممن سبقه لكنه لم يكتفِ بنقلها فقط، وإنما ناقش ما نقل، وقبل وراجع وعدل وأضاف، صادراً في كل ذلك عن ذوق بياني وبصر بأدوات النقد، ويبدو ذلك في حديثه مع مصطلحات (النظر والملاحظة، الاصطراف، الانتحال، الإغارة، الغصب، الموارد، المرافدة، الاشتراك في اللفظ المتعارف) على النحو الذي يعكسه البيان التالي :

١ . النظر والملاحظة : [١]

أما في النظر والملاحظة اللذين عنى بهما ابن رشيق تساوي المعنيين دون اللفظ مع خفاء الأخذ . فقد ظهر جهد ابن رشيق واضحا حين أشار إلى نظر زهير بن أبي سلمى إلى قول المهلهل، وهو ما لم يفعله الحاتمي[٢]، يقول ابن رشيق : " وأما النظر والملاحظة فمثل قول مهلهل :

أنبضوا معجس القسي وأبرق نا كما توعد الفحول الفحولا

نظر إليه زهير بقوله :

يطعنهم ما ارتموا حتى إذا طعنوا ضارب حتى إذا ما ضاربوا اعتنقا

وأبو ذؤيب بقوله :

ضروب لهامات الرجال بسيفه إذا حن نبع بينهم وشريح[٣] "

وقد أشار الخالديان إلى هذا اللون وان لم يطلقوا عليه تسمية، لكنهم ردوا المعنى لقول شاعر من الخزرج :

وطاعنّا وللنبْلِ هريرٌ يصدَعُ القلبا

فلما طاعنَ القومُ تركنا فيهم الضَّربا

---

[١] يحتاج مصطلح النظر والملاحظة ومصطلح الإلمام إلى تدقيق جيد من الناقد عند الحكم بوجود السرقة .

[٢] ينظر: حلية المحاضرة ٢/ ٨٧.

[٣] العمدة ٢ / ٢٨٧ . ومعجس القوس: مقبضها.

يقول : طاعنّا بالرماح وأعداؤنا يرمون بالنبل، فلما دنا بعضُنا من بعض وأفضى أعداؤنا إلى الطعن بالرماح جالدناهم بالسيوف. وهذا المعنى من المعاني الجياد، فإن كان قائل هذا الشعر اخترعه وكان الأصلَ فيه، زاد زهير بقوله :

يطعنُهم ما ارتمَوا حتَّى إذا اطّعنوا ضاربَ حتَّى إذا ما ضاربوا اعتنقا

لأن زهيراً أتى بالمعنى الَّذي قدَّمنا ذكره، وهو بيتان، في بيت واحد، وله أيضاً فيه زيادة جيدة لأنه ذكر أنَّه يطعنهم وهم يرتمون ثمَّ يضربهم وهم يتطاعنون فإذا اضطربوا بالسيوف عانق، ولم يُتمِّم أحد هذا المعنى بمثل هذا، إلاَّ أنّ زهيراً أخذه بغير شكّ من المهلهل بن ربيعة التغلبي في قوله :

أنبضوا مَعجِسَ القِسيّ وأبرقْ نا كما يوعِدُ الفحولُ الفُحولا

وبيت المهلهل، وإن كان سابقاً للمعنى، فهو دون بيت زهير ودون بيت الأنصاريّ لأنه ذكر أنهم أنبضوا القسيّ وأبرقنا، فيجوز أن يكون أنبضوا قسيَّهم من بُعد وأبرقنا من بُعد، ولم يدنُ بعضهم من بعضٍ، وهذا غير مستوفٍ للمعنى استيفاءً جيداً. وبيت الأنصاريّ، وإن كان دون بيت زهير أيضاً، فهو أجود من بيت المهلهل لما قدّمنا ذكره من العيب الظاهر فيه. [١]

٢ . الإلمام : [٢]

يقول ابن رشيق : " والإلمام : ضرب من النظر، وهو مثل قول أبي الشيص : أجد الملامة في هواك لذيذة وقول أبي الطيب : أأحبه وأحب فيه ملامة البيت، وقد تقدم ذكرهما في التغاير. [٣]

وفي باب التغاير يقول ابن رشيق : " ومن مليح التغاير قول أبي الشيص :

أجد الملامة في هواك لذيذة حباً لذكرك؛ فليلمني اللوم

وقول أبي الطيب في عكس هذا :

---

[١] حماسة الخالديين صـ ٤٧

[٢] الإلمام : الزيارة غِبًّا ؛ والفعل: أَلْممت به، وعليه.قال : والمُلِمّة : النازلة الشديدة، من شدائد الدَّهر. . تهذيب اللغة . محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (٣٧٠هـ) تحقيق . محمد عوض مرعب . دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م – ٥ / ٢٥١

[٣] العمدة ٢ / ٢٨٧ .

أأحبه وأحب فيه ملامة؟ إن الملامة فيه من أعدائه

وهذا عند علي بن عبد العزيز الجرجاني هو النظر والملاحظة[١]، وهو يعده في باب السرقات، قال : وأصله من قول أبي نواس :

إذا غادیتني بصبوح عذل فممزوجاً بتسمية الحبيب

ولأبي العلاء المعري مثله من غير التزام :

لم يبق غير العذل من أسبابهم فأحب من يدنو إلي عذول

بعدوا فلا مستخبر عن حالهم غيري، ولا مستخبر مسئول "[٢]

والواضح أن ابن رشيق كان يفرق بين النظر والملاحظة وبين الإلمام، ربما اعتمادا في الأساس على المعنى اللغوي، وهو ما لم نجده عند الحاتمي، ومن ثم فابن رشيق لا يعد الإلمام من باب السرقات، لان الشاعر فيه لا يتعمد إخفاء أخذه، أو لم ينظر إلى المعنى النظرة التي يستحق بسببها لقب سارق، وهو ما قال به كثير من النقاد في هذه الأبيات، قال ابن الأثير : " وهذا من السرقات الخفية جدا، ولأن يسمى ابتداعا أولى من أن يسمى سرقة، وقد توخيته في شيء من شعري فجاء حسنا، فمن ذلك قولي :

لولا الكرام وما سنوه من كرم لم يدر قائل شعر كيف يمتدح

أخذته من قول أبي تمام :

ولولا خلال سنها الشعر ما درى بناة العلا من أين تؤتى المكارم[٣]

وقال العلوي : " وما هذا حاله فإنه من السرقات الخفية كما أشرنا إليه، وقد قال بعض الحذاق إن ما هذا حاله بأن يسمى ابتداعا أحق من أن يسمى سرقة،" [٤]

---

[١] الوساطة صـ ٢٠٦.

[٢] السابق ٢ / ١٠٣، ١٠٤ .وأبيات أبي العلاء لأبي القاسم بن المغربي الوزير في التكملة لكتاب الصلة . أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي . تحقيق . عبد السلام الهراس . دار الفكر . لبنان ١٩٩٥م ١ / ٣٢٨ .

[٣] المثل السائر ٣ / ٢٤٥، ٢٤٦ .

[٤] الطراز ٣ / ١١٢

ووافقه على ذلك صاحب الصبح المنبي حيث قال : " وتسمية هذا مبتدعا أولى من تسميته سرقة.[١]

وقد سمى الجرجاني هذا اللون (النقض) أي القلب حيث قال : " ومن لطيف السّرَق ما جاء به على وجه القلب، وقصد به النقض، كقول المتنبي :

أأحبه وأحبّ فيه مَلامةً إن الملامَةَ فيه من أعدائهِ

إنما نقض قول أبي الشُيص :

أجدُ الملامة في هواكِ لذيذة حبّاً لذكركِ فليلُمْني اللُّومُ

وأصله لأبي نواس في قوله :

إذا غادیتني بصبوح عذل فممزوجاً بتسمية الحبيب

فإني لا أعُدَّ اللوم فيه عليكِ إذا فعلتِ من الذّنوب[٢]

٣ . الانتحال :

وأما الانتحال الذي يعمد فيه الشاعر إلى ادعاء البيت جملة واحدة، فقد نقل ابن رشيق أثناء التمثيل له مثالين من الحاتمي[٣]، حيث قال : " والانتحال عندهم قول جرير :

---

[١] الصبح المنبي عن حيثية المتنبي ١ / ٢٨٢

[٢] الوساطه بين المتنبي وخصومه ونقد شعره ١ /٢٠٦، ٢٠٧، وينظر : الفن ومذاهبه في الشعر العربي – د .شوقي ضيف (١٤٢٦هـ): دار المعارف بمصر : الثانية عشرة صـ ٣٠١

[٣] ينظر: حلية المحاضرة ٢/ ٣٢.

إن الـــذين غـــدوا بلبـــك غـــادروا وشْـــلا بعينـــك لا يـــزال معينـــا

غيضـــن مـــن عبـــراتهن وقلـــن لـــي مـــاذا لقيـــت مـــن الهـــوى ولقينـــا؟

فإن الرواة مجمعون على أن البيتين للمعلوط السعدي انتحلهما جرير [1]، وانتحل أيضاً قول طفيل الغنوي :

ولمـــا التقـــى الحيـــان ألقيـــت العصـــا ومـــات الهـــوى لمـــا أصـــيبت مقاتلـــه

ولذلك قال الفرزدق :

إن تـــذكروا كرمـــي بلـــؤم أبـــيكم وأوابـــــدي تنتحلـــــوا الأشـــــعارا

... وأما قول البحتري :

رمتنـــي غـــواة الشـــعر مـــن بـــين مُفحَـــم ومنتحـــل مـــا لـــم يقلـــه ومـــدعى

فيشهد لك ما قدمت ذكره؛ لأنه قسمهم ثلاثة أقسام : مفحم قد عجز عن الكلام فضلا عن التحلي بالشعر غير أنه يتبع الشعراء؛ والآخر منتحل لأجود من شعره، والثالث مدع جملة لا يحسن شيئاً.[2]

وقد خلط الحاتمي بين المصطلحات حين مثّل للانتحال بقول عقبة بن رؤبة حيث يقول الحاتمي : " سمعت عقبة ابن رؤبة يقول : قال لي أبي "مر بي العجاج ونحن متوجهان إلى عبد الملك أنا أقول [رجز] :

حتـــى احتضـــرنا بعـــد ســـير حـــدس أمـــام رغـــس فـــي نصـــاب رغـــس

فقال : يا أحمق! ألا تقول [رجز] :

---

[1] أشار إلى ذلك ابن قتيبة في الشعر والشعراء ١ / ٦٨، وأبو هلال في الصناعتين: صـ ٤، والبكري في اللآلي في شرح أمالي القالي ٢ / ٣٩

[2] العمدة ٢ / ٢٨٣، ٢٨٤ .

بين ابن مروان قريع الإنس وابنة، عباس قريع عبس

أنجب عرس جبلاً وعرس بين نجيب لم يعب بوكس

ضياء بين قمر وشمس

قال رؤبة : "فاستلحق ما قلته، وذهبت كلها للعجاج".[١]

٤ . الإغارة : [٢]

استقى ابن رشيق في الإغارة تعريف الحاتمي[٣]، وإن كان لم يمثل بأمثلته، فالإغارة عند ابن رشيق هي : " أن يصنع الشعر بيتاً ويخترع معنى مليحاً فيتناوله من هو أعظم منه ذكراً وأبعد صوتاً، فيروى له دون قائله، كما فعل الفرزدق بجميل وقد سمعه ينشد :

ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا

فقال : متى كان الملك في بني عذرة ؟ إنما هو في مضر وأنا شاعرها، فغلب الفرزدق على البيت، ولم يتركه جميل ولا أسقطه من شعره.

وقد زعم بعض الرواة أنه قد قال له : تجاف لي عنه، فتجافى جميل عنه، والأول أصح ؛ فما كان هكذا فهو إغارة، وقوم يرون أن الإغارة أخذ اللفظ بأسره والمعنى بأسره، والسرق أخذ بعض اللفظ أو بعض المعنى، كان ذلك لمعاصر أو قديم " [٤]

وأرى أن إغارة الفرزدق على البيت ليس حبا في البيت بقدر ما كان تقليلا من شأن بني عذرة .

---

[١] حلية المحاضرة في صناعة الشعر . لأبي علي محمد بن الحسن بن المظفر الحاتمي . تحقيق د . جعفر الكتاني . دار الرشيد للنشر . العراق ١٩٧٩م ٢ / ٣٣ .

[٢] الإغارة : هي أن يسمع الشاعر المفلق والفحل المتقدم الأبيات الرائعة بدرت من شاعر في عصره وباينت مذاهبه في أمثالها من شعره، وتكون الأبيات بالشاعر المغير وطريقته أليق، فيستنزل قائلها عنها .ينظر : تاريخ النقد الأدبي عند العرب ص ٢٥٩ وهذا المصطلح يحتاج الى وجود قرينة تاريخية .

[٣] ينظر حلية المحاضرة ٢/ ٣٩.

[٤] العمدة ٢ / ٢٨٤، ٢٨٥ .

٥ . الغصب : [١]

أهمل ابن رشيق تعريف الغصب معتمدا على أمثلة الحاتمي التي ذكرها في باب (الإغارة)، ويبدو أن شرط التهديد كان أساسا لابن رشيق في القول بالغصب، على النحو الذي يبدو من قوله : " وأما الغصب فمثل صنيعه بالشردل اليربوعي، وقد أنشد في محفل :

فما بين من لم يعط سمعاً وطاعةً وبين تميم غير حز الحلاقم

فقال الفرزدق : والله لتدعنه أو لتدعن عرضك، فقال : خذه لا بارك الله لك فيه. وقال ذو الرمة بحضرته : لقد قلت أبياتاً، إن لها لعروضاً وإن لها لمراداً ومعنى بعيداً، قال : وما قلت؟ فقال : قلت :

أحين أعاذت بي تميم نساءها وجردت تجريد اليماني من الغمد

ومدت بضبعي الرباب ومالك وعمرو وسالت من ورائي بنو سعد

ومن آل يربوع زهاء كأنه دجى الليل محمود النكاية والرفد

فقال له الفرزدق : إياك وإياها لا تعودن إليها، وأنا أحق بها منك، قال : والله لا أعود فيها ولا أنشدها أبداً إلا لك [٢]

وعلى ذلك فأبيات الفرزدق التي يقول فيها :

أحين أعاذت بي تميمٌ نساءها وجردت تجريد اليماني من الغمد

هي غصب عند ابن رشيق وإغارة عند الحاتمي[٣] ؛ لتوفر شرط التهديد فيها .

---

[١] الغصب في اللغة: أخذ الشيء ظلماً، مالاً كان أو غيره، وفي الشرع : أخذ مال متقوم محترم بلا إذن مالكه، بلا خفية، فالغصب لا يتحقق في الميتة، لأنها ليست بمال، وكذا في الحر، ولا في خمر المسلم، لأنها ليست بمتقومة، ولا في مال الحربي، لأنه ليس بمحترم، وقوله: بلا إذن مالكه احتراز عن الوديعة، وقوله: بلا خفية، ليخرج السرقة . كتاب التعريفات . علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (٨١٦هـ) دار الكتب العلمية بيروت – لبنان . الأولى ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م – صـ ١٦٢ وهذا المصطلح يحتاج الى وجود قرينة تاريخية .

[٢] العمدة ٢ / ٢٨٥ . وينظر : الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء صـ ١٠٧ .

[٣] ينظر حلية المحاضرة ٢/ ٣٩–٤٠.

كما وضع ابن رشيق ملامح الفرق بين الاصطراف الذي يشتمل على الاجتلاب والانتحال وبين الإغارة فيقول : " وسمعت بعض المشايخ يقول : الاصطراف في شعر الأموات كالإغارة على شعر الأحياء، إنما هو أن يرى الشاعر نفسه أولى بذلك الكلام من قائله. [١]

٦ . المواردة : [٢]

أما في مصطلح المواردة الذي يعني (اتفاق عصر الشاعرين دون لقاء) ـ فيحمد لابن رشيق عدم وقوفه عند ما جاء به الحاتمي[٣]، ربما لعدم اقتناعه بوجودها، والمشهور فيها ما كان من توافق بين امريء القيس وطرفة، يقول أبو هلال : سئل ابو عمرو بن العلاء عن الشاعرين يتفقان على لفظٍ واحد ومعنى. فقال : عقول رجالٍ توافت على ألسنتها، وذلك قول طرفة :

وقوفــاً بهــا صــحبِي علــىَّ مطــيَّهُمْ يقولــونَ : لا تهلــكْ أســىً وتجلَّــدِ

وهو قول امرئ القيس :

وقوفــاً بهــا صــحبي علــىّ مطــيَّهم يقولــون : لا تهلــك أســىً وتجمَّــلِ

فغيّر طرفة القافية. [٤]

---

[١] العمدة ٢ / ٢٨٥ .

[٢] المواردة وهى مفاعلة من قولهم هما يتواردان الحوض، أي يرد منه هذا، ويرد منه هذا ...والمواردة فى اصطلاح علماء البيان، أن يتفق الشاعران إذا كانا متعاصرين أو كان أحدهما متأخرا عن الآخر على معنى واحد، يوردانه جميعا بلفظ واحد من غير أخذ ولا سماع، واشتقاقه من ورد الحيين الماء من غير مواعدة بينهما ينظر : الطراز ٣ / ٩٦، وخزانة الأدب وغاية الأرب: ابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي الأزراري (٨٣٧هـ) تحقيق : عصام شقيو : دار ومكتبة الهلال–بيروت، دار البحار–بيروت ٢٠٠٤م ٢ / ٣٨٠

قال ابن أبي الإصبع : المواردة وهي توارد الشاعرين المتعاصرين اللذين تجمعهما طبقة واحدة على معنى واحد إما مجرداً، أو ببعض ألفاظه أو بأكثرها أو كلها، فإن كان أحدهما أقدم، أو طبقته أرفع، حكم له على صاحبه بالسبق، وقد رأيت من يجعل اتفاق الشاعرين من طبقتين مختلفتين في عصرين متباينين إذا تقارب ما بينهما بعض التقارب في الأمرين، أو في القوة والقدرة تواردا . تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر ٤٠٠

[٣] ينظر حلية المحاضرة ٢/ ٤٥–٤٩.

[٤] الصناعتين صـ ٢٢٩

يقول ابن رشيق " وأما الموارِدة فقد ادعاها قوم في بيت امرئ القيس وطرفة، ولا أظن هذا مما يصح؛ لأن طرفة في زمان عمرو بن هند شاب حول العشرين، وكان امرؤ القيس في زمان المنذر الأكبر كهلاً واسمه وشعره أشهر من الشمس؛ فكيف يكون هذا موارِدة؟ إلا أنهم ذكروا أن طرفة لم يثبت له البيت، حتى استحلف أنه لم يسمعه قط فحلف، وإذا صح هذا كان موارِدة، وإن لم يكونا في عصر، وسئل أبو عمرو بن العلاء : أرأيت الشاعرين يتفقان في المعنى ويتواردان في اللفظ لم يلق واحد منهما صاحبه ولم يسمع شعره ؟ قال : تلك عقول رجال توافت على ألسنتها، وسئل أبو الطيب عن مثل ذلك فقال : الشعر جادة، وربما وقع الحافر على موضع الحافر " [1]

أما ما رواه الحاتمي من أمثلة فالغالب فيها أن القصيدة لأحد الشاعرين، وليس فيها موارِدة من قريب أو من بعيد، يقول الحاتمي : " أخبرني أبو أحمد عيسى بن عبد العزيز قال : أخبرني عبد الله بن جعفر قال : سألت أبا سعيد محمد بن هريرة النحوي الأسدي عن هذه الأبيات، وهي أبيات امريء القيس : [مخلع البسيط]

عيناك دَمعُهما سجالُ كأنَّ شأنيهما أوشالُ

أوْ جدول في ظلالِ نخلٍ للماءِ من تحتهِ مَجَالُ

وقول عبيد : [مخلع البسيط]

عيناك دَمعُهما سروبُ كأنَّ شأنيهما شعيبُ

أو جدولٍ في ظلالِ نخلٍ للماءِ من تحتهِ قسيبُ

وقول امريء القيس : [البسيط]

وكل ذي إبل مود فتاركها وكل ذي سلب لا بد مسلوب

وقول عبيد : [البسيط]

وكل ذي إبل مود يورثها وكل ذي سلب لا بد مسلوب

فقال : لا أجد نفسي سريعة إلى التصديق بأن العقول في مثل هذا تتوافق، وعبيد وامرؤ القيس كانا في زمن واحد

فأما قول امريء القيس : [وافر]

---

[1] العمدة ٢ / ٢٨٩ .

وقـــد طوفـــت بالآفـــاق حتـــى رضـــيت مـــن الغنيمـــة بالإيـــاب

وقول عبيد بن الأبرص مخاطبا لامريء القيس في شعره : [وافر]

و لـــو لاقيـــت غلبـــاء بـــن حـــزم رضـــيت مـــن الغنيمـــة بالإيـــاب

فأظن عبيدا ردد هذا المصرع تعريضا بقوله، لا على جهة السرقة " [١]

ففي قول الحاتمي دليل جيد على صعوبة وجود مثل هذا الضرب، وأما ما ذكره الحاتمي من أمثلة فيمكن صرفه إلى باب الاجتلاب أو الإغارة، وكان الفرزدق يكثر منهما .

وقد ذهب ابن حزم . في اتفاق الشعراء في المعنى الواحد اتفاقا لفظيا . مذهب ابن رشيق حيث قال :" والذي شاهدناه اتفاق شاعرين في نصف بيت، شاهدناه ذلك مرتين من عمرنا فقط واخبرني من لا أثق به أن خاطره وافق خاطر شاعر آخر في بيت كامل واحد ولست اعلم ذلك صحيحا؟ والشعر نوع من أنواع الكلام ولكل كلام تأليف ما، والذي ذكره المتكلمون في الأشعار من الفضل الذي سموه " الموارد " وذكروا أن خواطر الشعراء اتفقت في عدة أبيات فأحاديث مفتعلة لا تصح أصلا ولا تتصل، وما هي إلا سرقات وغارات من بعض الشعراء على بعض " [٢]

٧ . المرافدة : [٣]

أما المرافدة فقد عرفها ابن رشيق ومثل لها بمثالين مما ذكره الحاتمي[٤]، حيث قال : " وأما المرافدة فأن يعين الشاعر صاحبه بالأبيات يهبها له، كما قال جرير لذي الرمة : أنشدني ما قلت لهشام المرئي، فأنشده قصيدته :

---

[١] حلية المحاضرة ٢/٤٥، ٤٦ وبيت عبيد الأخير في الحيوان برواية (علباء بن جحش) ينظر : الحيوان ٣ / ٤٢٨ .

[٢] تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة) . د . إحسان عباس دار الثقافة – بيروت . الأولى، ١٩٦٠م – ١ / ١٨٨، ١٨٩ .

[٣] رفده يرفده رفدا : أعطاه، و رفده و أرفده : أعانه والاسم منهما الرفد . و ترافدوا : أعان بعضهم بعضا . والمرفد و المرفد : المعونة ... و المرافدة : المعاونة . والترافد : التعاون . و الاسترفاد : الاستعانة . لسان العرب ج ٣ ص ١٨١، والمرافدة سنة معروفة من قديم، وهي غير الانتحال وغير السرقة وما يسمى إغارة وغصبًا ؛ وقد استرفد النابغة زهيرًا ابنه كعبًا فرفده، والحكاية في ذلك مشهورة عنه وعن سواه . وحي القلم . مصطفى صادق الرافعي (١٣٥٦هـ) . دار الكتب العلمية: الأولى ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م ٣ / ٢٤٠

[٤] ينظر حلية المحاضرة ٢/ ٤٩-٥١.

نبت عيناك عن طلل بحزوى محته الريح وامتنح القطارا

فقال : ألا أعينك ؟ قال : بلى بأبي وأمي، قال : قل له :

يعد الناسبون إلى تميم بيوت المجد أربعة كبارا

يعدون الرباب وآل سعد وعمراً ثم حنظلة الخيارا

ويهلك بينها المرئي لغواً كما ألغيت في الدية الحوارا

فلقيه الفرزدق فاستنشده، فلما بلغ هذه قال : جيد، أعده، فأعاده، فقال : كلا والله، لقد علكهن من هو أشد لحيَيْن منك، هذا شعر ابن المراغة (يعني جريرا) .

واسترفد هشام المرئي جريراً على ذي الرمة فقال في أبيات :

يماشي عدياً لؤمها ما تجنُّه من الناس ما ماشت عدياً ظلالها

فقل لعدي تستعن بنسائها علي فقد أعيا عدياً رجالها

أذا الرُّمّ، قد قلدت قومَك رُمَّة بطيئاً بأيدي العاقلين انحلالها

ويروي بأيدي المطلقين فقال ذو الرمة لما سمعها : يا ويلتا، هذا والله شعر حنظلي، وغلب هشام على ذي الرمة بعد أن كان ذو الرمة مستعلياً عليه، وقد استرفد نابغة بني ذبيان زهيراً فأمر ابنه كعباً فرفده. [1]

وعلى الرغم من نقل ابن رشيق المثالين عن الحاتمي وتصرفه في روايتهما . إلا أنه يحمد له إشارته إلى استرفاد النابغة الذبياني لزهير، وإن لم يمثل له، كما يحمد له ذلك التعليل الذي قدمه للمرافدة حيث قال : " والشاعر يستوهب البيت والبيتين والثلاثة وأكثر من ذلك، إذا كان تشبيهة بطريقته، ولا

---

[1] العمدة ٢ / ٢٨٦ . وينظر : مفتاح العلوم – يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (٦٢٦هـ) ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور . دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الثانية ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧م ١/ ٥٨٠، وحلية المحاضرة صـ ٥٠، ٥١، وواضح اختلاف رواية الخبر عنها عن الحاتمي في المثال الأول .

يعد ذلك عيباً؛ لأنه يقدر على عمل مثلها، ولا يجوز ذلك إلا للحاذق المبرز. [١]، إذ إن قدرة المسترفد وتمكنه تكون شرط أساس في القول بالمرافدة .

٨ . الاشتراك في اللفظ المتعارف : [٢]

يحمد لابن رشيق إخراجه الاشتراك في اللفظ المتعارف من باب السرقة، حيث يقول : " ومما يعد سرقاً وليس بسرق اشتراك اللفظ المتعارف كقول عنترة :

وخيل قد دلفت لها بخيل عليها الأسد تهتصر اهتصارا

وقول عمرو بن معدي كرب :

وخيل قد دلفت لها بخيل تحية بينهم ضرب وجيع

وقول الخنساء ترثي أخاها صخراً :

وخيل قد دلفت لها بخيل فدارت بين كبشيها رحاها

ومثله :

وخيل قد دلفت لها بخيل ترى فرسانها مثل الأسود

وأمثال هذا كثير. [٣]

ثم يعود ابن رشيق فيقرر ذلك في كتابه (قراضة الذهب) حيث يقول : " إن أهل التحصيل مجمعون من ذلك على أن السرقة إنما تقع في البديع النادر والخارج عن العادة، وذلك في العبارات التي هي الألفاظ ... لا ما كان الناس فيه شرعا واحدا من مستعمل اللفظ الجاري على عادتهم وعلى

---

[١] العمدة ٢ / ٢٨٦، ٢٨٧ ، وينظر : حلية المحاضرة ٢/ ٦٨-٦٩.

[٢] الاشتراك في اللفظ هو أن يشترك الشاعران في شطر بيت، ويتخالفا في الشطر الثاني . تاريخ النقد الأدبي عند العرب - ١ / ٢٦٠

[٣] العمدة ٢ / ٢٩٢، ويقارن المثال بما قال به الحاتمي في مصطلح الاجتلاب في هذا البحث ، قال الحاتمي : وقد اعتبر قوم هذا سرقا وليس بسرق. حلية المحاضرة ٢/ ٦٨.

ألسنتهم، وكذلك ما كان من المعاني الظاهرة المعتادة فإنها معرضة للأفهام، متسلطة على فكر الأنام "[1]

وقد قصر ابن رشيق في العمدة عن الحاتمي في التمثيل، فقد زاد الحاتمي في باب (الاشتراك في اللفظ) قوله : " وقال أعرابي : [وافر]

وخيل قد دلفت لها بخيل تـرى فرسانها مثل الأسود

فلو اجتهد هؤلاء عند قصدهم الإخبار بما أخبروا به من هذا الوصف، أن يوردوه بغير هذه العبارة، وفي هذه العروض، ما استطاعوا، لأن اللفظ يضطرهم، واعتماد العبارة الشريفة يقود أعنتهم، فرب معان تختص بألفاظ شريفة لا يمكن تعديها إلى ما هو أشرف منها " [2]

لكن ابن رشيق يعود فيعالج القضية في باب آخر وهو باب (الاشتراك والتغاير) حيث يقول : " والنوع الثالث ليس من هذا في شيء، وهو سائر الألفاظ المبتذلة للتكلم بها، لا يسمى تناولها سرقة، ولا تداولها اتباعاً؛ لأنها مشتركة لا أحد من الناس أولى بها من الآخر، فهي مباحة غير محظورة، إلا أن تدخلها استعارة، أو تصحبها قرينة تحدث فيها معنى، أو تفيد فائدة، فهناك يتميز الناس، ويسقط اسم الاشتراك الذي يقوم به العذر، ولو غيرت اللفظة وأتى بما يقوم مقامها كقول ابن أحمر :

بمقلص درك الطريدة، متنه كصفا الخليقة بالفضاء الملبد

فقوله " درك الطريدة " وقول الأسود بن يعفر :

بمقلص عتد جهير شده قيد الأوابد والرهان جواد

جميعاً كقول امرئ القيس : (بمنجرد قيد الأوابد هيكل) وكذلك قول أبي الطيب : (أجل الظليم وربقة السرحان) .

فأما ما ناسب قول الأبيرد اليربوعي يرثي أخاه :

وقد كنت أستعفي الإله إذا اشتكى من الأجر لي فيه، وإن عظم الأجر

وقول أبي نواس في صفة الخمر :

ترى العين تستعفيك من لمعانها وتحسر حتى ما تقل جفونها

فهو من المشترك الذي لا يعد سرقة، وقد نص عليه القاضي الجرجاني أنه من المنقول المتداول المبتذل" [3]

---

[1] قراضة الذهب صـ ٢٠

[2] حلية المحاضرة ٢ / ٦٨، ٦٩ .

[3] العمدة ٢ / ٩٧، ٩٨ .

القسم الثالث . مصطلحات نقلها ابن رشيق ممن سبق وأخفق في المعالجة : وقد تم هذا الاخفاق من ابن رشيق من خلال سوء النقل أو إهمال التوضيح والبيان، ويبدو ذلك في حديثه مع مصطلحات (نظم النثر، المجدود كشف المعنى، سوء الاتباع، الاجتلاب) على النحو الذي يعكسه البيان التالي :

١ . نظم النثر : [١]

أهمل ابن رشيق التعريف في باب نظم النثر وحل الشعر، وقام بتلفيق نص الحاتمي[٢] حيث قال : " وأجل السرقات نظم النثر وحل الشعر، وهذه لمحة منه. قال نادب الإسكندر " حركنا الملك بسكونه " فتناوله أبو العتاهية فقال :

قد لعمري حكيت لي غصص المو ... ت وحركتني لها وسكنتا

وقال أرسطاطاليس يندبه : " قد كان هذا الشخص واعظاً بليغاً، وما وعظ بكلامه عظة قط أبلغ من موعظته بسكوته " وقال أبو العتاهية في ذلك : [٣]

وكانت في حياتك لي عظات فأنت اليوم أوعظ منك حياً

وقال عيسى عليه السلام : تعملون السيئات وترجون أن تجازوا عليها بمثل ما يجازى به أهل الحسنات، أجل لا يجنى الشوك من العنب.

فقال ابن عبد القدوس :

---

[١] قال الحموي : " ومن شرائط العقد أن يؤخذ المنثور بجملة لفظه أو بمعظمه، فيزيد الناظم فيه وينقص ليدخل في وزن الشعر، ومتى أخذ بعض المنثور دون لفظه كان ذلك نوعًا من أنواع السرقات، ولا يسمى عقدًا إلا إذا أخذ الناظم المنثور برمته، وإن غير منه طريقًا من الطرق التي قدمناها كان المتبقي منه أكثر من المغير، بحيث يعرف من البقية صورة الجميع . خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي ٢ / ٤٨٩

[٢] انظر حلية المحاضرة ٢ / ٩٢-٩٤.

[٣] أشار إلى أخذ أبي العتاهية كثير من النقاد منهم : الزجاجي في الأمالي . عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي الزجاجي، أبو القاسم (٣٣٧هـ) تحقيق: عبد السلام هارون : دار الجيل – بيروت الثانية، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م صـ ٩٣، والمبرد في التعازي والمراثي والمواعظ والوصايا . محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالى الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد (٢٨٥هـ تقديم وتحقيق: إبراهيم محمد حسن الجمل مراجعة: محمود سالم . نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ١ / ١٧٤، والكامل في اللغة والأدب . محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس (٢٨٥هـ) . تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم . دار الفكر العربي – القاهرة الطبعة الثالثة ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م ٢ / ١٠، والحصري في زهر الآداب وثمر الألباب . إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري، أبو إسحاق الحُصري القيرواني (٤٥٣هـ) . دار الجيل، بيروت – ٣ / ٧٢٩

إذا وترت امرأ فاحذر عداوته من يزرع الشوك لا يحصد به عنباً

وأخذ الكتاب قولهم " قدمت قبلك " من قول الأقرع بن حابس، ويروى لحاتم :

إذا ما أتى يوم يفرق بيننا بموت فكن أنت الذي تتاخر

وقولهم " وأتم نعمته عليك " من قول عدي بن الرقاع العاملي :

صلى الإله على امرئ ودعته وأتم نعمته عليه وزادها

فما جرى هذا المجرى لم يكن على سارقه جناح عند الحذاق، وفي أقل ما جئت به منه كفاية. [1]

بينما أكسب الحاتمي الباب عمقا من خلال تعريفه بالمصطلح، مع ذكر أبرز الشعراء الذين اشتهروا به حيث قال : " قال أبو علي : ومن الشعراء المطبوعين طائفة تخفي السرق، وتلبِّسه اعتماداً على منثور الكلام دون منظومه، واستراقاً للألفاظ الموجزة، والفقر الشريفة، والمواعظ الواقعة، والخطب البارعة، وأبو العتاهية ومحمود الوراق شديدا اللهج بذلك كثيراً في أشعارهما، ولصالح بن عبد القدوس درر من ذلك إلا أنه لم يكثر إكثارهما.

... وقال نادب الإسكندر عند وفاته – وقد بكى من كان بحضرته– "حركنا بسكونه فنظم هذا، أبو العتاهية فقال خفيف :

قد لعمري حكيت لي غصص المو ت وحركتني لها وسكنتا

ويقال إنه لما مات الإسكندر ندبه أرسطاطاليس فقال : "طال ما كان هذا الشخص واعظاً بليغاً، وما وعظ بكلامه موعظة قط أبلغ من موعظته بسكوته "فنظم هذا المعنى صالح بن عبد القدوس وبسط لفظه"، فقال وأحسن [خفيف] :

---

[1] العمدة ٢ / ٢٩٣، ٢٩٤ .

وينادونـــه وقـــد صـــم عنهـــم ثـــم قـــالوا : وللنســـاء نحـــيب

مـــا الـــذي عـــاق أن تـــرد جوابـــاً أيهـــا المقـــول الألـــد اللبـــيب

إن تكـــن لا تطيـــق رجـــع جـــواب فبمـــا قـــد تـــرى وأنـــت مجـــيب

ذو عظـــات ومـــا وعظـــت بشـــيء مثـــل وعـــظ الســـكوت إذ لا تجيـــب

وأحسبه نظر في قوله "إن تكون لا تطيق رجع جواب" إلى مخاطبه المؤبذ لقباذ بعد موته : "كان الملك أمس أنطق منه اليوم، وهو اليوم أوعظ منه أمس".

وفي خطبة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وعظ الناس بها حين ضربه ابن ملجم لعنه الله : "وليعظكم هدوئي، وخفوت أطرافي، فإنه أوعظ لكم من النطق البليغ" فنظم أبو العتاهية لفظ المؤبذ فقال وعضد المعنى بها يهيج اللوعة، ويقدح زناد الكآبة والوجد [وافر] :

طوتـــك خطـــوب دهـــرك بعـــد نشـــر كـــذاك خطوبـــه نشـــراً وطـــياً

فلـو نشـرت قـواك لـي المنـايا شـــكوت إليـــك مـــا صـــنعت إلـــيا

كفـــى حزنـــاً بدفنـــك ثـــم إنـــي نفضـــت تـــراب قبـــرك عـــن يـــديا

وكانـت فـي حياتـك لـي عظـات فأنـــت اليـــوم أوعـــظ منـــك حـــياً

فاحتذى هذا المعنى ابن طباطبا العلوي فقال [كامل] :

وعـــظ الـــورى بســـكونه فأتاهـــم ببيـــان قـــس حـــين قـــال لـــه اخطـــب [1]

فأبو العتاهية لم ينظر إلى قول طاليس كما بدا من كلام ابن رشيق وإنما نظر إلى كلام الموبذ . قاضي القضاة . لقباذ الملك حين مات، وكذلك من كلام الامام علي كرم الله وجهه، بينما الذي نظر إلى كلام طاليس هو صالح بن عبد القدوس وبسط في نظمه كما علق الحاتمي .

ووصف ابن رشيق لهذا الباب بالجلال في قوله : " وأجل السرقات نظم النثر وحل الشعر " يبرهن على أن هناك سرقات جيدة وأخرى رديئة، بغض النظر عما إذا كان المسروق شعرا أم نثرا، بديعا أم غير بديع، ويبدو أن هذا الجلال الذي افترضه ابن رشيق راجع إلى براعة الشاعر في إخفاء السرقة، الأمر الذي يؤكده ابن طباطبا العلوي في قوله :" ويحتاج من سلك هذه السبيل إلى إلطاف

---

[1] حلية المحاضرة ٢ / ٩٢ . ٩٤ .

الحيلة وتدقيق النظر في تناول المعاني واستعارتها وتلبيسها حتى تخفى على نقادها و البصراء بها، وينفرد بشهرتها كأنه غير مسبوق إليها، فيستعمل المعاني المأخوذة في غير الجنس الذي تناولها منه ... وإن وجد المعنى اللطيف في المنثور من الكلام، أو في الخطب والرسائل فتناوله وجعله شعرا كان أخفى وأحسن" . [١]

٢ . المجدود : [٢]

أهمل ابن رشيق تعريف المجدود، رغم اعتماده على تمثيل الحاتمي[٣]، حيث قال : " أما المجدود من الشعر فنحو قول عنترة العبسي : (وكما علمت شمائلي وتكرمي)، رزق جداً واشتهاراً على قول امرئ القيس :

وشـــمائلي مـــا قـــد علمـــت، ومـــا نبحـــــت كلابـــــك طارقـــــاً مثلـــــي

ومنه أخذ عنترة، [٤]

بينما أجاد الحاتمي في ضم القرائن، وإن كان لم يوضح وجه إحسان عنترة، وكان مما قال : " والمجدود : اشتهار الآخذ بالمعنى دون المأخوذ منه، وهذا الشعر يسمى الشعر المجدود لاشتهاره دون الأصل، ... ومن ذلك قول امرئ القيس :

وشـــمائلي مـــا قـــد علمـــت، ومـــا نبحـــــت كلابـــــك طارقـــــاً مثلـــــي

فأخذه عنترة فأحسن فاشتهر بيته فقال : [كامل]

فـإذا صـحوت فمـا أقصـر عـن نـدى وكمـا علمـت شـمائلي وتكرمـي[٥]

---

[١] عيار الشعر صـ ١٢٦

[٢] المجدود من الشعر : هو ما رزق جدا واشتهارا مع تأخر قائله . في النقد الأدبي د . علي علي مصطفى صبح صـ ٢٢٩ .

[٣] حلية المحاضرة ٢ / ٦٧ .

[٤] العمدة ٢ / ٢٩٠، ٢٩١ .

[٥] حلية المحاضرة ٢ / ٦٧ .

٣ . كشف المعنى :

يبدو تقصير ابن رشيق هنا في إهمال التعريف بالمصطلح، وإبراز مواطن الكشف للمعنى حيث قال : " فأما كشف المعنى فنحو قول امرئ القيس :

نمـــشُّ بـــأعراف الجيـــاد أكفنـــا إذا نحـــن قمنـــا عـــن شـــواء مضـــهب

وقال عبدة بن الطبيب بعده :

ثُمّـــت قمنـــا إلـــى جـــرد مســـومة أعـــــــرافهن لأيـــــــدينا مناديـــــــل

فكشف المعنى وأبرزه." [١]

ويبدو هذا الإهمال بمقارنته بقول الحاتمي : " باب كشف المعنى وإبرازه بزيادة منه تزيده نصاعة وبراعة، قال امرؤ القيس :

كبكـــر المقانـــاة البيـــاض بصـــفرة غـــذاه نميـــر المـــاء غيـــر المحلـــل

فأخذ هذا المعنى ذو الرمة فكشفه وأبرزه وزاد فيه زيادة لطيفة فقال :

كحـــلاء فـــي بـــرج صـــفراء فـــي نعـــج كأنهـــا فضـــة قـــد مســـها ذهـــب

وقال امرؤ القيس :

نَمُـــشُّ بـــأَعْرَافِ الجِيَـــادِ أَكُفَّنـــا إِذا نَحْـــنُ قُمْنـــا عـــن شِـــوَاءٍ مُضَـــهَّبِ

فقوله (نمشُّ) أي نمسح، والمشوش المنديل، فذكر أن مناديلهم أعراف الخيل، فكشف هذا المعنى عبدة بن الطبيب فقال :

---

[١] العمدة ٢ / ٢٩٠ .

ثُمَّـــتَ قُمْنـــا إلـــى جُـــرْدٍ مُسَـــوَّمَةٍ أَعْـــــرافُهُنَّ لِأَيـــــدِينا مَنَادِيـــــلُ[1]

غير أنه مما يحمد لابن رشيق تعليقه على بيت امريء القيس السابق في (باب الاشتراك والتغاير) حيث يقول : " وأما الاشتراك في المعاني فنوعان : أحدهما : أن يشترك المعنيان وتختلف العبارة عنهما، فيتباعد اللفظان، وذلك هو الجيد المستحسن، نحو قول امرئ القيس :

كبكـــر المقانـــاة البيـــاض بصـــفرة غـــذاها نميـــر المـــاء غيـــر محلـــل

وقول غيلان ذي الرمة :

نجـلاء فـي بـرج صـفراء فـي نعـجٍ كأنهـــا فضـــة قـــد مســـها ذهـــب

فوصفا جميعاً لوناً بعينه : فشبهه الأول بلون بيضة النعام، وشبهه الثاني بلون الفضة قد خالطها الذهب يسيراً ولذلك قال " قد مسها [2]

٤ . سوء الاتباع :

كثيرا ما كان ابن رشيق يغفل تتبع المعنى ويقتصر على ما يحقق الغرض، على النحو الذي يبدو في قوله : " وسوء الاتباع أن يعمل الشاعر معنى رديا ولفظاً رديا مستهجناً ثم يأتي من بعده فيتبعه فيه على رداءته، نحو قول أبي تمام :

باشـــرت أســـباب الغنـــى بمـــدائح ضـــربت بـــأبواب الملـــوك طبـــولا

فقال أبو الطيب :

إذا كـــان بعـــض النـــاس ســـيفاً لدولـــة ففـــي النـــاس بوقـــات لهـــا وطبـــول

فسرق هذه اللفظة لئلا تفوته.

ومما قصر فيه الآخذ عن المأخوذ منه قول أبي دهبل الجمحي في معنى بيت الشماخ : [3]

---

[1] حلية المحاضرة ٢ / ٩٠، والمشُّ: مسح اليد بشيء يقشر الدسم. ويقال للمنديل مشوش .المصون في الأدب – أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد بن إسماعيل العسكري (٣٨٢هـ) تحقيق عبد السلام محمد هارون . مطبعة حكومة الكويت . الثانية، ١٩٨٤م صـ ١٩٢

[2] العمدة ٢ / ٩٨–٩٩ .وينظر : الشعر والشعراء ١ / ٥٢٤

[3] أتى الحاتمي بهذا المثال ضمن أمثلة أخرى لما سماه تكافؤ السابق والسارق في الإساءة والتقصير. حلية المحاضرة ٢/٨٤.

يـــا نـــاق ســـيري واشـــرقي بـــــدم إذا جئـــــت المغيـــــره

ســـــيثيبني أخـــــرى ســـــوا ك، وتلـــك لـــي منـــه يســـيره

فأنت ترى أين بلغت همته؟؟ [١]

بينما أفاض الحاتمي في تتبع معنى قول الشماخ:

إذا بلغتنـــي وحملـــت رحلـــي عرابـــة فاشـــرقي بـــدم الـــوتين

فكان مما قال : " قال أبو علي : ولم أر أحداً من علماء الشعر يحمد هذا المذهب من الشماخ، ولا أوجد له وجهاً مرضياً في وصف النوق التي تمتطيها الشعراء إلى الممدوحين، وكان أحيحة بن الجلاح قال للشماخ لما أنشده هذه البيت : "بئس المجازاة جازيتها به" فاقتفى ذو الرمة مذهبه في الإساءة، فقال طويل :

إذا ابـــن أبـــي موســـى بـــلالاً بلغتِـــه فقـــام بفـــأس بـــين وصـــليك جـــازر

فاحتذى حذوهما أبو دهبل الجمحي فقال مجزوء الكامل :

يـا نـاق سـيري وأشرقـي بـــــدم إذا جئـــــت المغـــــيرة

سيشـــــيبني أخـــــرى ســـــوا ك، وتلـــك لـــي منـــه يســـيره

فاقتضب لفظ ذي الرمة ابن أبي عاصية السلمي فقال كامل :

إن زال معـــن بنـــي شـــريك لـــم يـــزل يـــدني إلـــى ســـفر بعيـــر مسافـــر

نـــدر علـــي لـــئن لقيتـــك سالمـــاً أن تســـتمر بهـــا شـــفار الجـــازر

ثم نحرها عند وصولها إليه، فبلغ ذلك معنا فتطير، وقال له : ما حملك على ما صنعت؟ فقال : نذر كان علي، وأنشده الشعر، فقال معن: أطعمونا من كبد هذه المظلومة. [٢]

---

[١] العمدة ٢ / ٢٩١، ٢٩٢ .

[٢] حلية المحاضرة ٢ / ٨٤ .

٥ . الاجتلاب :

عرف الحاتمي الاصطراف بأنه : " صرف الشاعر إلى أبياته وقصيدته بيتا أو بيتين أو ثلاثة لغيره، فيضيفها الى نفسه، ويصرفها عن قائلها " [١]، بينما أدرج ابن رشيق تحته قسمين هما : الاجتلاب والانتحال .

وقد اعتمد ابن رشيق في الاجتلاب وهو (صرف البيت المأخوذ على جهة المثل) على ثلاثة أمثلة من الأمثلة التي أوردها الحاتمي حيث قال : " فأما الاجتلاب فنحو قول النابغة الذبياني :

وصهباء لا تخفي القذى وهو دونها تصفق في راووقها حين تقطب

تمززتها والديك يدعو صباحه إذا ما بنو نعش دنوا فتصوبوا

فاستلحق البيت الأخير فقال :

وإجانة ريا السرور كأنها إذا غمست فيها الزجاجة كوكب

تمززتها والديك يدعو صباحه إذا ما بنو نعش دنوا فتصوبوا[٢]

وقد أشار إلى هذا اللون المرزباني، ولكنه سماه نسخا [٣]، ولعله قصد أن الفرزدق قد نسخ البيت برمته .

قال ابن رشيق : " وربما اجتلب الشاعر البيتين على الشريطة التي قدمت؛ فلا يكون في ذلك باس، كما قال عمرو ذو الطوق :

صددت الكأس عنا أم عمرو وكان الكأس مجراه اليمينا

وما شر الثلاثة أم عمرو بصاحبك الذي لا تصبحينا

فاستلحقهما عمرو بن كلثوم؛ فهما في قصيدته، وكان عمرو بن العلاء وغيره لا يرون ذلك عيباً، وقد يصنع المحدثون مثل هذا.قال زياد الأعجم :

---

[١] حلية المحاضرة ٢ / ٦١ .

[٢] العمدة ٢ / ٢٨٢، ٢٨٣ .

[٣] الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء صـ ١١٢ .

أشـــم إذا مـــا جئـــت للعـــرف طالبـــاً حبـــاك بمـــا تحـــوي عليـــه أناملـــه

ولـــو لـــم يكـــن فـــي كفـــه غيـــر نفســـه لجـــــاد بهـــــا فليتـــــق الله ســـــائله

ويروى هذا لأخت يزيد بن الطثرية، فاستلحق البيت الأخير أبو تمام فهو في شعره.

وأما قول جرير للفرزدق وكان يرميه بانتحال شعر أخيه الأخطل بن غالب :

ســـتعلم مـــن يكـــون أبـــوه قينـــاً ومـــن كانـــت قصـــائده اجتلابـــاً

فإنما وضع الاجتلاب موضع السرق والانتحال لضرورة القافية، هكذا ذكر العلماء من هؤلاء المحدثين " [١]

وقد أشار البغدادي إلى اجتلاب عمرو بن كلثوم فقال : " ويروى هَذَا الشّعْر لعَمْرو بن كُلْثُوم التغلبي. وَيُقَال إِن عَمْرو بن كُلْثُوم أدخلهُ فِي معلقته. [٢]، ونسب الجرجاني بيت زياد الأعجم إلى بكر بن النطاح فقال : وهذا ما ادُّعي على أبي الطيب فيه السّرقة، وما أُضيف إليه مما عثرت به، قال أبو تمام – وقد روى هذا البيت لبكر بن النَّطاح، وقد دخل في شعر أبي تمام :

ولـــو لـــم يكـــن فـــي كفـــهِ غيـــرُ نفســـه لجـــــادَ بهـــــا فليتّـــــق الله ســـــائلُه

قال أبو الطيب :

يـــا أيّهـــا المُجْـــدَى عليـــهِ روحُـــه إذ لـــــيس يأتيـــــه لهـــــا اســـــتِجْداءُ

احمَـــدْ عُفاتَـــك لا فُجِعْـــتَ بفَقْـــدِهم فلَتَـــرْكُ مـــا لـــم يأخـــذوا إعْطـــاءُ

وبيت أبي تمام أو بكر بن النّطاح أملحُ لفظاً وأصحّ سبكاً. وزاد أبو الطيب بقوله : إنه يجدي عليه روحه. ولكن في اللفظ قصور، والأول نهاية في الحسن " [٣]

ويبدو أن صرف البيت المأخوذ على جهة المثل كان محط اهتمام كثير من النقاد، من حيث دخوله في باب السرقات أو عدمه، على النحو الذي يبدو فيما نقله ابن رشيق عن الجمحي في قوله : " وأما الجمحي فقال : من السرقات ما يأتي على سبيل المثل ليس اجتلاباً، مثل قول أبي الصلت بن أبي ربيعة الثقفي :

---

[١] العمدة ٢ / ٢٨٢، ٢٨٣ .

[٢] خزانة الأدب للبغدادي ٨ / ٢٧٢

[٣] الوساطه بين المتنبي وخصومه ونقد شعره ١ / ٢١٦

تلك المكارم لا قعبان من لبن شيبا بماء فعاد بعد أبوالا.

ثم قاله بعينه النابغة الجعدي لما أتى موضعه، فبنو عامر ترويه للجعدى، والرواة مجمعون أنه لأبي الصلت ؛ فقد ذهب الجمحي في الاجتلاب مذهب جرير أنه انتحال ولم أر محدثاً غيره يقول هذا القول " [1]

فقد فهم ابن رشيق عبارة الجمحي (من السرقات ما يأتي على سبيل المثل ليس اجتلابا) أن الاجتلاب عنده سرقة وانتحال كما هو عند جرير ، أو على الأقل في ظاهر لفظ جرير، لأن ابن رشيق يرى أنه وضع الاجتلاب موضع السرق والانتحال لضرورة القافية ، بينما نص الجمحي واضح وصريح " وَقد تفعل ذَلِك الْعَرَب لَا يُرِيدُونَ بِهِ السّرقَة " [2]

وقد أشار الحاتمي إلى لون جيد آخر من الاجتلاب يكون بين الشاعرين المتناقضين في شطر من البيت، حيث يقول : " وقد يجلب الشاعر البيت أو البيتين من شعر شاعر، أو المعنى والمعنيين، إذا كان ذلك الشاعر مخاطبا له، وكان هو مجيبا عن مخاطبته، وكذلك يُلقى شعر جرير والفرزدق، ولا نرى ذلك سرقا، كقول الفرزدق :

إن الذي سمك السماء بنى لنا بيتا دعائمه أعز وأطول

فقال جرير رادا عليه :

إن الذي سمك السماء بنى لنا عزا علاك فما له من مَنقَل[3]

وذلك يندرج تحت ما سماه ابن رشيق بالاشتراك في اللفظ المتعارف .

---

[1] العمدة ٢ / ٢٨٣ .

[2] طبقات فحول الشعراء ١ / ٥٨ .

[3] حلية المحاضرة ٢ / ٦٠ .

الخاتمة

يحق لنا ـ بعد هذه الوقفة النقدية مع مشكلة السرقات في كتاب العمدة لابن رشيق القيرواني . أن نقرر أنه لا ينبغي علينا أن ننكر على الشاعر تأثره بنص شعري سابق عليه، لأن هذه النصوص الرائدة هي التي أسهمت . وما زالت تسهم . في تشكيل وجدان الشعراء، وموقفهم منها . إيجابا وسلبا . هو الذي يساعد في دفع مسيرة العملية الشعرية على مر العصور، والشاعر مطالب بحفظ كثير من الأشعار، حتى يستقر في ذهنه ما راق من الأساليب الجيدة، ومن ثم كان استخدام (الأخذ) في التعبير عن تأثر الشاعر بسابقه . أوجه من التعبير بالسرقة والغصب وغير ذلك في نظر كثير من نقادنا القدامى، طالما أنه لا سبيل لتكوين الملكة الشعرية إلا بحفظ أشعار السابقين والسير على منوالها .

وقد أبرزت دراسة السرقات في كتاب العمدة عدة نتائج نجملها فيما يلي :

- لم يعط ابن رشيق تصورا جديدا لمعالجة فكرة السرقات، كتصنيفها بحسب الجودة أو القبح، أو دخولها في باب السرقات أو عدم دخولها، أو سرقات اللفظ وسرقات المعنى . وإنما هجم على القضية كما عن له الأمر، محاولا التجديد حينا وواقعا في أسر النصوص المنقولة عن غيره أحيانا أخرى، وقد وظهرت جهوده واضحة في التعريف بالمصطلحات، وضم الأشياء إلى جوار بعضها كإدخال الاستلحاق والانتحال في باب واحد سماه الاصطراف، وإبراز العلاقة بين السرقات وكثير من أبواب النقد الأدبي، وإن كنا نأخذ عليه إهمال تعريف بعض المصطلحات التي أشار الحاتمي إلى تعريفها (كالالتقاط وسوء الاتباع، وتقصير الآخذ عن المأخوذ منه، والمجدود، وكشف المعنى، ونظم النثر)
- برز في معالجة ابن رشيق للسرقات مدى ضيق المصطلح لديه، وقصر السرقات على المعاني البديعة المخترعة، ويلوح التعبير بالسرقة أو الأخذ والإشارة هي المصطلحات المفضلة لدى ابن رشيق وكثير من النقاد، يدل على ذلك أن ابن رشيق لم يعط تعريفا صريحا لها، كما أننا لم نر إلحاح النقاد على كثير من المصطلحات التي ذكرها الحاتمي وغيره، بما يبرهن على أنها كانت مصطلحات تقنينية لمسألة التأثير والتأثر بين الشعراء .
- لم تقف جهود ابن رشيق عند حشد النقول من النقاد الذين سبقوه، وإنما أضاف وعدل، وكان حظ المصطلحات التي ظهر جهده فيها ضعف المصطلحات التي نقلها، أو أخفق في معالجتها، كما قام ابن رشيق بنقد كثير من العلماء الذين أولوا هذا الباب أهمية كالحاتمي وابن وكيع ومحمد بن سلام الجمحي، ومن ثم يحق لنا أن نقول إن ابن رشيق يعد مثالا للناقد الذي يملك الإعجاب عن طريق شخصيته، لا عن طريق الجدة في الرأي كما يقول الدكتور / إحسان عباس .

• لم يكن ابن رشيق يعالج المسألة في باب واحد، والدليل على ذلك ما فعله في باب السرقات عند حديثه عن المخترع، وتكملته في باب (المخترع والبديع، وكذلك حديثه عن الاشتراك في المعاني في باب السرقات، وتكملته في باب الاشتراك والتغاير .

• لا ينبغي علينا أن نغفل كتاب الحاتمي ونحن ندرس السرقات في كتاب العمدة، فبين الكتابين كبير شبه، واعتماد الثاني على الأول لا يلقي باللائمة على الثاني بالقدر الذي لا ينسب الفضل جميعه للأول ، فدائما ما كان ابن رشيق يتخير مثالا أو مثالين أو أكثر من الأمثلة التي سردها الحاتمي، وهذا المثال غالبا ما يكون الثاني أو الثالث مما ذكره الحاتمي، عدا ما قال به في باب الالتقاط والتلفيق .

• أوضح الحاتمي نظرته إلى السرقة من خلال جهوده في صدر باب (السرقات والمحاذات) بينما تركنا ابن رشيق نستشف هذا الموقف من خلال جهوده التي تبرز في : (ضيق المصطلح وقصره على المعنى البديع، تحرجه عن التعبير بالسرقة في كثير من مواطن الكتاب، إحجامه عن تعريف المصطلح (السرقة) أو الأخذ، عنوانه للباب بـ (السرقات وما شاكلها) كل هذا يوحي بموقفه من السرقة وعدم اعترافه بها إلا في المعاني البديعة، وإنما الذي صرح هو الحاتمي .

• ويلاحظ أن ابن رشيق في حشده لمصطلحات السرقة لم يكن كمن سبق من النقاد مغرما بالتعمق في البحث والشرح أو تشكيل منهج متكامل يرهص لنظرية نقدية متكاملة تجمع بين التأصيل والتطبيق .

• ويسجل لابن رشيق براعته في استقصاء الأمثلة والشواهد الشعرية من مختلف مراحل الأدب العربي من الجاهلي الى العباسي ؛ مما سهل على النقاد _ فيما بعد _ التأصيل الاصطلاحي لمصطلحات السرقات الشعرية وهذا ما ستتضح معالمه عند لاحقيه من النقاد من أمثال ابن سنان وعبد القاهر والسكاكي وابن الأثير وغيرهم .

• وتبدو ظاهرة التفاوت في وضع الحدود الاصطلاحية الدقيقة من مصطلح لآخر جلية ؛ فقد كانت بعض المصطلحات تحظى بالشرح والأمثلة أكثر من غيرها ...

المصادر والمراجع

- الأعلام . خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت ١٣٩٦هـ) دار العلم للملايين . الخامسة عشر – أيار / مايو ٢٠٠٢ م
- الأغاني . أبو الفرج الأصبهاني . تحقيق علي مهنا وسمير جابر . دار الفكر – لبنان .
- الأمالي ـ عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي الزجاجي، أبو القاسم (٣٣٧هـ) تحقيق . عبد السلام هارون . دار الجيل – بيروت الثانية، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م
- إنباه الرواة على أنباه النحاة . جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (٦٤٦هـ) المكتبة العصرية، بيروت . الأولى، ١٤٢٤ هـ
- البديع في نقد الشعر . أبو المظفر مؤيد الدولة مجد الدين أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني الكلبي الشيزري (٥٨٤هـ)بتحقيق . الدكتور أحمد أحمد بدوي، الدكتور حامد عبد المجيد مراجعة . الأستاذ إبراهيم مصطفى ـ الجمهورية العربية المتحدة – وزارة الثقافة والإرشاد القومي – الإقليم الجنوبي – الإدارة العامة للثقافة
- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة . عبد المتعال الصعيدي (١٣٩١هـ) مكتبة الآداب . السابعة عشر . ١٤٢٦هـ–٢٠٠٥م
- البلاغة العربية . عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (١٤٢٥هـ) . دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت . الأولى، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦ م
- البيان العربي . د . بدوي طبانة . دار المنار . جدة . الطبعة السابعة ١٩٨٨م
- تاريخ آداب العرب . مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي (١٣٥٦هـ . دار الكتاب العربي
- تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة) . د . إحسان عباس دار الثقافة – بيروت . الأولى، ١٩٦٠
- تاريخ النقد الأدبي عند العرب . د إحسان عباس (١٤٢٤هـ) دار الثقافة، بيروت – لبنان . الرابعة، ١٩٨٣
- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن . عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع العدواني، البغدادي ثم المصري (٦٥٤هـ)تقديم وتحقيق . الدكتور حفني محمد شرف . الجمهورية العربية المتحدة – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي .

• التعازي والمراثي والمواعظ والوصايا . محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالى الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد (٢٨٥هـ تقديم وتحقيق . إبراهيم محمد حسن الجمل مراجعة . محمود سالم الناشر . نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع .

• التكملة لكتاب الصلة . أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي . تحقيق . عبد السلام الهراس . دار الفكر . لبنان ١٩٩٥م

• التناص الشعري . قراءة أخرة لقضية السرقات . د . مصطفى السعدني . منشأة المعارف بالأسكندرية ١٩٩١م .

• تهذيب اللغة . محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (٣٧٠هـ) تحقيق . محمد عوض مرعب . دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة . الأولى، ٢٠٠١م

• ثمار القلوب في المضاف والمنسوب . عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (٤٢٩هـ) . دار المعارف – القاهرة .

• حلية المحاضرة في صناعة الشعر . لأبي علي محمد بن الحسن بن المظفر الحاتمي . تحقيق د . جعفر الكتاني . دار الرشيد للنشر . العراق ١٩٧٩م .

• حماسة الخالديين = بالأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهليين والمخضرمين . الخالديان أبو بكر محمد بن هاشم الخالدي، (نحو ٣٨٠هـ)، و أبو عثمان سعيد بن هاشم الخالدي (٣٧١هـ المحقق . الدكتور محمد علي دقة . وزارة الثقافة، الجمهورية العربية السورية ١٩٩٥

• حماسة القرشي . عباس بن محمد بن مسعود القرشي النجفي (١٢٩٩هـ) المحقق . خير الدين محمود قبلاوي . وزارة الثقافة، الجمهورية العربية السورية، دمشق . (بدون)، ١٩٩٥ م

• الحيوان للجاحظ . تحقيق . عبد السلام هارون . مصطفي البابي الحلبي، الثانية ١٩٦٥ م

• خزانة الأدب وغاية الأرب . ابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي الأزراري (٨٣٧هـ) تحقيق . عصام شقيو . دار ومكتبة الهلال–بيروت، دار البحار–بيروت ٢٠٠٤م

• خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب . عبد القادر بن عمر البغدادي (١٠٩٣هـ) تحقيق وشرح . عبد السلام محمد هارون . مكتبة الخانجي، القاهرة . الرابعة، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م

• ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر. عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (٨٠٨هـ) . تحقيق . خليل شحادة . دار الفكر، بيروت . الثانية، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م

• ديوان المعاني أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (نحو ٣٩٥هـ) دار الجيل – بيروت

• ديوان حسان بن ثابت . تحقيق د . وليد عرفات . دار صادر . بيروت ٢٠٠٦م .
• ديوان كعب بن زهير صنعة أبي سعيد السكري . شرح د.مفيد قميحة . دار الشواف للطباعة والنشر . الأولى ١٩٨٩م
• زهر الآداب وثمر الألباب . إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري، أبو إسحاق الحُصري القيرواني (٤٥٣هـ) . دار الجيل، بيروت
• سمط اللآلي في شرح أمالي القالي [هو كتاب شرح أمالي القالي / لأبي عبيد البكري؛ نسخه وصححه وحقق ما فيه وخرجه وأضاف إليه عبد العزيز الميمني] . أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (٤٨٧هـ)ـ نسخه وصححه ونقحه وحقق ما فيه واستخرجه من بطون دواوين العلم . عبد العزيز الميمني . دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان
• شرح نهج البلاغة . أبو حامد عز الدين بن هبة الله بن محمد بن محمد بن أبي الحديد المدائني ٦٥٥ هـ، تحقيق . محمد عبد الكريم النمري . دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان – ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م، الأولى،
• الشعر والشعراء . أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (٢٧٦هـ) . دار الحديث، القاهرة ١٤٢٣ هـ
• صبح الأعشى في صناعة الإنشاء . أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري (المتوفى : ٨٢١هـ) . دار الكتب العلمية، بيروت
• الصبح المنبي عن حيثية المتنبي – (مطبوع بهامش شرح العكبري) . يوسف البديعي الدمشقي (١٠٧٣هـ) . المطبعة العامرة الشرفية . الأولى، ١٣٠٨ هـ
• الصناعتين . أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (نحو ٣٩٥هـ) . تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم . المكتبة العصرية – بيروت ٢٠٠٤ م
• طبقات فحول الشعراء . محمد بن سلّام (بالتشديد) بن عبيد الله الجمحي بالولاء، أبو عبد الله (المتوفى : ٢٣٢هـ) . تحقيق محمود محمد شاكر . دار المدني – جدة
• الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز . يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي الملقب بالمؤيد بالله (٧٤٥هـ) . المكتبة العنصرية – بيروت . الأولى، ١٤٢٣ هـ
• العقد الفريد . أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم المعروف بابن عبد ربه الأندلسي (٣٢٨هـ) . دار الكتب العلمية – بيروت . الأولى، ١٤٠٤ هـ
• العمدة لابن رشيق القيرواني . تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد . دار الجيل . الخامسة ١٤٠١ هـ – ١٩٨١ م .

• عيار الشعر . محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم طباطبا، الحسني العلوي، أبو الحسن (٣٢٢هـ . تحقيق عبد العزيز بن ناصر المانع . مكتبة الخانجي – القاهرة

• عيون الأخبار – أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (٢٧٦هـ) . دار الكتب العلمية – بيروت . ١٤١٨ هـ

• فكرة السرقات الأدبية ونظرية التناص . د عبد الملك مرتاض . مجلة علامات في النقد الأدبي . النادي الأدبي الثقافي بجدة المجلد الأول . ١ / ٨٦ مايو ١٩٩١م

• الفن ومذاهبه في الشعر العربي – د .شوقي ضيف (١٤٢٦هـ) . دار المعارف بمصر . الثانية عشرة

• في النقد الأدبي . د . علي علي مصطفى صبح . طبعة المكتبة الأزهرية للتراث ١٩٩٨م .

• في النقد الأدبي د . عبد العزيز عتيق . دار النهضة العربية . بيروت صـ ١٩٧٢م

• القاموس المحيط . مجد الدين الفيروزآبادي – دار الحديث .(قوة)

• قراضة الذهب في نقد أشعار العرب . ابن رشيق القيرواني . تحقيق . الشاذلي بو يحيى . الدار التونسية للتوزيع ١٩٧٢م

• الكامل في اللغة والأدب . محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس (٢٨٥هـ)تحقيق . محمد أبو الفضل إبراهيم . دار الفكر العربي – القاهرة الطبعة الثالثة ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م

• كتاب التعريفات . علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (٨١٦هـ) دار الكتب العلمية بيروت – لبنان . الأولى ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م

• لسان العرب محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (٧١١هـ) . دار صادر – بيروت . الثالثة – ١٤١٤ هـ

• المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر . ضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد (٦٣٧هـ) تحقيق د . أحمد الحوفي، بدوي طبانة . دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة . القاهرة

• محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء – أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى ٥٠٢هـ) . شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت . الأولى، ١٤٢٠ هـ

• مشكلة السرقات في النقد العربي . د . محمد مصطفى هدارة . مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٥٨م .

• المصون في الأدب – أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد بن إسماعيل العسكري (٣٨٢هـ) تحقيق عبد السلام محمد هارون . مطبعة حكومة الكويت . الثانية، ١٩٨٤ م

• المعاني الكبير في أبيات المعاني . أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (٢٧٦هـ) تحقيق . المستشرق د سالم الكرنكوي (ت ١٣٧٣ هـ)، عبد الرحمن بن يحيى بن علي اليماني (١٣١٣ –

١٣٨٦ هـ) . مطبعة دائرة المعارف العثمانية – حيدر آباد الدكن بالهند [الطبعة الأولى ١٣٦٨هـ، ١٩٤٩م] ثم صورتها . دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان [الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٤ م]

• مفتاح العلوم – يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (٦٢٦هـ) ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه . نعيم زرزور . دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان . الثانية، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م

• المنصف للسارق والمسروق منه . الحسن بن علي الضبي التنيسي أبو محمد، المعروف بابن وكيع (٣٩٣هـ) . حققه وقدم له . عمر خليفة بن إدريس . جامعة قات يونس، بنغازي . الأولى، ١٩٩٤ م

• الموازنة بين أبي تمام والبحتري . أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي (٣٧٠ هـ) . تحقيق / السيد أحمد صقر . دار المعارف – الطبعة الرابعة

• الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء . أبو عبيد الله بن محمد بن عمران بن موسى المرزباني (٣٨٤هـ) . المطبعة السلفية بالقاهرة ١٣٤٣هـ

• النقد المنهجي عند العرب . د . محمد مندور . مكتبة نهضة مصر ٢٠٠٤م

• نوابغ الفكر العربي . ابن رشيق القيرواني .عبد الرؤف مخلوف . دار المعارف ١٩٤٦

• الوافي بالوفيات الوافي بالوفيات . صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت ٧٦٤هـ) . تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى . دار إحياء التراث – بيروت١٤٢٠هـ– ٢٠٠٠م

• وحي القلم . مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي (١٣٥٦هـ) . دار الكتب العلمية . الأولى ١٤٢١هـ–٢٠٠٠م

• الوساطة بين المتنبي وخصومه . القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم و علي محمد البجاوي . عيسى البابي الحلبي

• وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان . أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (ت ٦٨١هـ) . تحقيق د / إحسان عباس . دار صادر – بيروت١٩٩٤م

فهرس البحث

مقدمـــــة	٥
تمهيـد مشكلة السرقات الأدبية	٨
المبحث الأول ابن رشيق والسرقات الشعرية أهمية دراسة السرقات ١٦، مفهوم السرقات ١٨، طرائق أخذ المعنى ٢٠، التنازع في المعاني ٢٤، الحكم بالسرقة أو الأخذ في كثير من مواطن الكتاب ٢٥، ربط السرقات بقضايا النقد الأخرى ٣٣ (التضمين والسرقة ٣٣ السرقة وصنعة الشعر ٣٦)، نقد الأشخاص ٣٧ (نقد الحاتمي ٣٧ نقد ابن وكيع ٣٩ نقد محمد بن سلام الجمحي ٤١	
المبحث الثاني مصطلحات السرقة في كتاب العمدة القسم الأول : مصطلحات لم يظهر فيها جهد ابن رشيق ٤٥ (الاهتـدام ٤٥، الاختلاس ٤٦، الموازنة ٤٧، العكس ٤٨، الالتقاط والتلفيق ٤٩) القسم الثاني : مصطلحات نقلها ابن رشيق ممن سبقه لكنه لم يكتفِ بنقلها فقط ٥٠ (النظر والملاحظة ٥٠، الإلمام ٥١، الانتحال ٥٣، الإغارة ٥٥، الغصب ٥٦، الموارد ٥٧، المرافدة ٥٩، الاشتراك في اللفظ المتعارف ٦١) القسم الثالث : مصطلحات نقلها ابن رشيق ممن سبق وأخفق في المعالجة ٦٣ (نظم النثر ٦٣، المجدود ٦٦، كشف المعنى ٦٧، سوء الاتباع ٦٨، الاجتلاب ٧٠)	٤٣
الخاتمة	٧٣
فهرس المراجع	٧٦
فهرس البحث	٨٠